

www.liilas.com/vb3
 ^ RAYAHEEN ^

تأليف : آرثر كلارك
 ترجمة وإعداد :
 د. أحمد خالد توفيق

أوديسا الفضاء

المؤلف



لقاء آخر مع الخيال العلمى
الحقيقى .. الخيال العلمى
الملتزم بقضايا البشرية فى
ضوء التطور العلمى ..

وهو ما يختلف كثيراً عن
أوبرات الفضاء وسيف الليزر
والآليين الثرثارين سليطى

اللسان ، والإمبراطورية الحاتقة دوماً ، و«حدث فى
زمن بعيد بعيد .. فى مجرة بعيدة بعيدة»
قابلنا راي برادبرى فى رائعته (451
فهرنهايت) منذ عام تقريباً ، واليوم نقابل
واحداً من كبار (المناضلين) هو السير
(آرثر س . كلارك) ..

لقد كتب آرثر كلارك نحو ثمانين كتاباً وخمسمائة
مقال . ولد عام 1917 فى (سومرست) ، وفى
العام 1936 انتقل إلى لندن . وتبدأ الحرب العالمية

روايات عالمية الأهمية

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزرع به الأدب
العالمى ، فى مختلف صنوفه ..
من الألباز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..
من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..
من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..
ومن الشرق إلى الغرب ..
وإلى الحضارة ..
واليك ..

د. نبيل فاروق

الثانية فيعمل فنياً للاتصالات بالسلاح الجوى البريطانى ويكتسب خبرة علمية جيدة فى هذا العمل . عام 1947 يكتب أولى قصصه (مقدمة إلى الفضاء) ، ثم فى عام 1948 يلتحق بدورة لدراسة علم الفلك ، ويكتب أهم مجموعاته القصصية (الحارس) . وبدأت شهرته تتحقق عندما قدم قصته (نهاية الطفولة) .

كان مولعاً بالغوص إلى أعماق البحر ، وقد اتجه عام 1956 ليعيش فى (سريلانكا) - لتي كانت (سيلان) وقتها - ويعتبرها بيته حتى اليوم ، حيث يمارس هوايته هذه ، لكنه يغادرها كل عام ليلقى بعض محاضرات حول العالم وأمريكا على وجه الخصوص . أصابه الشلل عام 1962 مما اضطره إلى أن يودع البحر الحبيب بقصته (جزيرة الدرافيل) . استمر فى الإنتاج الغزير حتى العام 1986 حين قرر الأطباء أنه مصاب بداء (لوجيريش) وقيل إنه سيعيش عاماً ونصف عام على الأكثر .. هكذا راح يعمل كالمحموم لمدة عام حتى تبين أن التشخيص الأول خطأ .

عام 1986 نال لقب (السيد العظيم) من رابطة كتاب الخيال العلمى الأمريكيين . كما نال حشداً هائلاً من الألقاب ، وهو من الكتاب الذين تثق بهم منظمة اليونسكو بشكل خاص ، وعضو فى الجمعية الفلكية الملكية .

القصة التى نقدمها اليوم من نماذج الأدب الذى يترجمونه بـ (الأدب الملفق أو المنسوج) .. وهذا ليس ذمّاً .. إن الـ Spin -- Off Tale هى نوع أدبى شائع فى الغرب ، وقد قدمنا من قبل (لقاءات لصيقة من النوع الثالث) كنموذج لهذه القصص . من المعتاد أن يكتب الكاتب القصة ثم يخرجها المخرج ، لكن الحال هنا هو العكس . إن الفيلم الذى صنع عن قصة كلارك أوحى له بقصة جديدة !

لقد أعجب المخرج الكبير (ستاتلى كوبريك) بقصة قصيرة لكلارك هى (الحارس Sentinel) ، وجرّت مجموعة

من المشاورات أدت إلى أن يقضى (كلارك) الفترة من عام 1964 إلى 1968 منهمكاً في تطوير سيناريو هذه القصة ، ثم قدمها (كوبريك) في فيلم أثار ذهول العالم عام 1968 هو (2001 : أوديسا فضائية) .. الفيلم الذى كان وما زال أهم وأعمق وأمتع وأدق فيلم خيال علمى فى التاريخ على الإطلاق ، والذى فاق (حرب الكواكب) فى كل شىء حتى على المستوى التقنى برغم أنه أنتج قبله بعشرة أعوام . بعد نجاح الفيلم الباهر أعاد (كلارك) كتابة القصة كما ظهرت فى الفيلم ليخرج هذا الكتاب الذى بين يديك الآن . وإن أخذ عليه النقاد أنه أفسد جو الغموض الثرى المحيط بالفيلم ، ليقدم تفسيرات جافة صارمة . أى أنه استبدل النثر العلمى المحدد بالشعر الجميل الملىء بالخيال .

كما فى الفيلم تدور الفكرة المحورية لهذه القصة حول تقدم البشرية المذهل والسريع .. لكنها برغم هذا

لم تصل لأى مكان ، كأنها طفل رضيع تائه فى الفضاء الخارجى . هذه قصة ممتعة لكنها مقبضة خالية تماماً من الأمل .. ولقد صرنا الآن نألف حقيقة أن كتاب الخيال العلمى المعاصرين لا يملكون أى تفاؤل بصدد الغد ، بعكس أسلافهم الذين اعتقدوا أن التقدم العلمى المطرد هو الطريق إلى سلام البشرية وسعادتها .

نرجو أن تروق لك القصة ، ونعدك بأن نتعرف الكتاب الجادين الآخرين من أمثال (أزيوف) و(هاينلاين) و(زيلاتى) فى كتيبات أخرى من هذه السلسلة .

و. أحمد خال

١ - ليل بدائي ..

١ - الطريق إلى الانقراض ..

لقد استمر الجفاف عشرة ملايين من الأعوام حتى الآن ، وقد زالت مملكة الزواحف العملاقة منذ زمن بعيد . وهنا في خط الاستواء في القارة ستدعى يوماً : إفريقيا ، كانت معركة البقاء قد بلغت مرتبة جديدة من الشراسة ، لكن المنتصر لم يظهر بعد .

في هذه الأرض القاحلة لم يكن إلا صغير الحجم أو السريع أو القوى قادراً على الازدهار ، أو يملك حتى الأمل في البقاء .

لم يكن الرجال البدائيون في هضبة الترانسفال يملكون هذه الصفات . لقد اقتربوا جداً من الانقراض في الواقع . وقد احتل نصفهم الكهوف التي تطل

على واد جاف ، قسمه مجرى ماء اتحدر من ثلوج الجبال على بعد مائتي ميل شمالاً . وفي الأوقات العصيبة كان المجرى يختفي تماماً ، وتعيش القبيلة في ظلال الظلما .

كان الجوع شعوراً دائماً ، والآن صار التضور . وحين تسرب أول شعاع من الفجر إلى الكهف ، أدرك مراقب القمر أن أباه قد مات في أثناء الليل . لم يكن يعرف أن العجوز أبوه ، لأن علاقة كهذه كانت تتجاوز فهمه ، لكنه إذ نظر للجسد الضامر الميت شعر بعدم راحة هي جد الحزن .

كان الطفلان ينشجان طلباً للطعام ، لكنهما صمتا حين زمجر مراقب القمر فيهما . وفي محاولة من إحدى الأمهات للدفاع عن رضيعها ، أطلقت زمجرة غاضبة في وجهه . فلم يجد في نفسه القوة لإخضاعها .

الآن صار النور يسمح بالرحيل . جذب مراقب القمر

الجثة وجرها خلفه وهو ينحن ليحبر فتحة الكهف الضيقة . الآن وقد غادر الكهف تخلص من الجثة ووقف منتصبًا .. إنه الكائن الوحيد في العالم القادر على الوقوف بهذه الطريقة .

بالنسبة لقومه كان مراقب القمر عملاقًا .. كان ارتفاعه خمسة أقدام (*) ووزنه مائة رطل .. كان جبينه منخفضًا وكان هناك أخدودان فوق محجريه ، لكن جيناته بالتأكيد كانت تحمل الوعد بالإنسانية الكاملة . في عينيه كان هناك شيء ما .. نوع من الوعي .. أقرب شبهًا بالذكاء الذي يحتاج إلى أعوام حتى يحقق نفسه .

لم تكن هناك علامات على الخطر ، لذا بدأ مراقب القمر ينحدر عبر المنحدر شبه العمودي . وكأنما كانت القبيلة تنتظر إشارته فبدأت تلحق به .

(*) أى متر ونصف ووزنه خمسة وأربعين كيلومترًا .. هذا يدل على ضآلة حجم الضيرة عامة .

وهرع الجميع إلى مجرى الماء الموحد من أجل جرعة ماء الصباح .

بحث مراقب القمر عن الآخرين ، فلم ير لهم أثرًا .. هكذا نسيهم على الفور ، فهو لم يكن يملك القدرة على الاهتمام بشيين في الوقت ذاته .

أولاً يجب أن يتخلص من العجوز .. لكن هذه كانت مشكلة تحتاج إلى قليل من التفكير . لقد مات الكثيرون هذا الموسم ، وعليه أن يضع الجثة حيث ترك الأخريات كي تتولى الضباع المهمة .

كانت بانتظاره هناك حيث يتفرع الوادى إلى حقول المسافات ، كأنما تعرف أنه قادم . ترك مراقب القمر الجثة تحت شجيرات صغيرة وهرع ليلحق بالقبيلة . لم يفكر في أبيه مرة أخرى بعد هذا .

كانت رفيقته والأطفال يبحثون بين الشجيرات الجافة عن جذور أو ثوت أو سحال ألقت بها الريح

هنا . لم يبق فى الكهوف إلا الرضع وأضعف
الشيوخ ، فلو بقى بعض الطعام بعد نهاية اليوم
سيتم إطعامهم . أما لو لم يبق ستستعيد الضباع
حظها السعيد من جديد .

برغم أن مراقب القمر لم يكن يتذكر الماضى ،
ولا يستطيع مقارنة الأيام ، فإن اليوم كان محدود
الحظ لقد وجد خلية نحل فى جذع شجرة عجوز ،
وهكذا فاز بأفضل قائمة طعام يمكن أن يحظى بها
قومه . وكان مازال يلحق أتامله حين اقتاد
المجموعة عاندين عصراً . بالطبع أصابته لدغات
كثيرة . لكنه لم يلحظها .

كان الآن أقرب إلى الرضا ، برغم أنه لم يشبع
بعد ، لكنه على الأقل لم يعد واهناً من الجوع . وهذا
أفضل شيء يمكن لأمثاله أن يظفروا به .

لكن رضاه تبخر حين بلغ الماء ووجد الآخرين ..
كانوا هناك كل يوم وما كان هذا ليضايقه من قبل .

كانوا ثلاثين لا يمكن أن تميزهم من قوم مراقب
القمر .. وإذا رآوه قائماً بدعوا فى الرقص والصراخ ،
فرد قومه بالمثل .

برغم أن البدائين يتشاجرون مع بعضهم دوماً ،
لم تكن معاركهم تحدث إصابات خطيرة . لم تكن فى
أيديهم مخالب ولا لهم أنياب حادة ، وبالتالي كانت
قدرتهم على الإيذاء محدودة بالإضافة لهذا لم تكن
لديهم طاقة إضافية لهذا السلوك غير المنتج . كان
الصراخ والتكشير عن الأنياب طريقتين أكثر فعالية
فى التعبير عن وجهات النظر .

استمرت المواجهة خمس دقائق ، ثم انتهى
العرض بسرعة كما بدأ . وبدأ الجميع يشرب الماء
القذر .. لقد تم إرضاء الشرف وعبرت كل مجموعة
عن حقها ..

عادت القبيلة لكهفها دون حدث يذكر . وأطلقت
المرأة المصابة التى ظلت فى الكهف صيحة رضا

حين أعطاها مراقب القمر الغصن المغطى بالتوت
الذى جلبه لها . لم يكن هذا طعاماً كافياً ، لكنه
سيمنحها القدرة على الحياة حتى يشفى الجرح الذى
أصابها به الفهد ، ويمكنها البحث بنفسها من جديد .

وعبر الوادى كان قمر مكتمل يبرز .. وكانت ريح
باردة تهب من الجبال البعيدة . سيكون ليلاً قارس
البرد .. لكن البرد مثل الجوع لم يكن موضوعاً
للاهتمام .. كان جزءاً من خلفية الحياة ذاتها .

لم يتحرك مراقب القمر حين سمع الصراخ من
أحد الكهوف السفلى .. ولم يحتج إلى سماع زئير
الفهد كى يعرف ما يجرى بالضبط .

هناك فى الظلام كان (الشعر الأبيض) العجوز
وأسرته يقاتلون ويموتون .. وفكرة المساعدة لم
تخطر قط بذهن مراقب القمر . كان منطق البقاء
الخشى يحكمه . كانت الكهوف كلها صامتة خشية أن
تجتذب الكارثة بدورها .

انتهت الضوضاء ، والآن صار بوسع مراقب
القمر أن يسمع صوت جسد يجر فوق الصخور . ثم
تمكن الفهد من السيطرة على فريسته فابتعد فى
سلاسة وفريسته بين فكيه .

لمدة يومين لن يكون هناك خطر هنا .. لكن ربما
كان هناك أعداء آخرون يستغلون فرصة هذه
الشمس الصغرى التى تسطع فى الليل فقط . إن
الوحوش الصغرى يمكن إفزاعها بالصراخ .. وزحف
مراقب القمر إلى خارج الكهف وجلس القرفصاء
يراقب الوادى .

بين كل المخلوقات التى مشت على الأرض ، كان
هؤلاء البدائيون أول من نظر بثبات إلى القمر .
وبرغم أنه لا يذكر هذا ، فإن مراقب القمر كان فى
صغره يمد يده محاولاً الإمساك بذلك الوجه الشبحى
فوق التلال . لم ينجح قط .. والآن قد شاخ بما يكفى
لفهم السبب .. فى البداية عليه أن يجد شجرة عالية
بما يكفى .

أحياناً كان يراقب القمر لكنه كان يصغى طيلة الوقت . نام مرتين لكن يتحفز وحشى . فى سن الخامسة والعشرين - وهى سن متقدمة - كان مازال يحتفظ بقدراته . فلو واتاه الحظ وتحاشى الأوبئة والوحوش والجوع فلربما يعيش عشرة أعوام أخرى .

ارتفع القمر ببطء فوق النجوم الاستوائية التى لن يراها بشر . وفى الكهوف بين النوم والانتظار القلق ، كانت تولد كوابيس أجيال لم تولد بعد .

ومرتين عبر السماء ببطء ضوء يغشى الأبصار ، أكثر بريقاً من أى نجم .

٢ - الصخرة الجديدة ..

فى ساعة متأخرة من الليل صحا مراقب القمر .. كان جهد اليوم قد أنهكه ، لذا نام بسلام أكثر من المعتاد . لكنه تيقظ إذ سمع أول ضوضاء من الوادى .

جلس فى ظلام الكهف العفن ، وأجهد حواسه ، وزحف الخوف على روحه ببطء . لم يسمع قط صوتاً كهذا فى حياته التى تبلغ ضعف متوسط حياة أفراد عشيرته . إن الققط الكبيرة تزحف فى صمت ، ولا يكشف أمرها إلا انزلاق الأرض . ولكن هذا الصوت كان صوتاً يتعالى باستمرار . كأنما وحش عملاق يمشى فى الليل ويتجاهل كل العقبات ، ولا يحاول إخفاء صوت خطواته . ومرة سمع مراقب القمر صوت شجرة تقتلع .. الأفيال تفعل هذا كثيراً ، لكنها عدا ذلك تتحرك فى صمت كالققط .

ثم سمع صوتاً لم يستطع معرفة كنهه ، لأنه لم يسمع من قبل في تاريخ البشرية .. كان صوت معدن يرتطم بصخرة .

رأى مراقب القمر الصخرة الجديدة ، حين خرج بعشيرته في الفجر إلى النهر . كان قد نسي مخاوف الليل ، لأن شيئاً لم يحدث بعد الضوضاء الأولى . على الأقل لم يحدث ما يخيف .

كان لوحاً مستطيلاً يفوق ارتفاعه ثلاث مرات ، لكنه رفيع يمكن أن يحتويه بذراعيه ، وكان مصنوعاً من مادة شفافة تماماً . بالواقع كان عسيراً أن تتبينه ما لم تلمع الشمس على جنباته . لم يكن مراقب القمر قد رأى الثلج قط ، لذا لم يكن هناك شيء يمكن أن يشبه به هذا الجسم . كان مغريباً وبرغم أن مراقب القمر كان يحذر كل شيء جديد ، لم يتردد في الاتجاه له . لما لم يحدث شيء راح يتحسس سطحه البارد .



كان لوحاً مستطيلاً يفوق ارتفاعه ثلاث مرات ، لكنه رفيع يمكن أن يحتويه بذراعيه ..

وكان التفسير الذى توصل إليه مراقب القمر بعد أربع دقائق من التفكير ، هو أن هذا الجسم صخرة .. صخرة نبتت فى الليل كما تنمو النباتات .. وبالطبع يمكن أن يكون مذاقها طيباً كمذاق بعض النباتات .

لكن بعض لعقات ومحاولات لقضم قطعة سرعان ما قضت على أحلامه . لا غذاء هنا .. وكأى بدائى عقل توجه للنهر ونسى كل شئ عن العود الحرى .

كان البحث عن طعام غاية فى السوء اليوم .. واضطرت القبيلة إلى السفر عدة أميال لتجد أى طعام وقد تهاوت إحدى النساء تحت القيط ، فالتف رفاقها حولها عاجزين عن إسداء أى عون لها . لو كان لديهم فالض من طاقة لاحتملوها معهم لكنهم منهكون تماماً عليها أن تبقى حيث هى وأن تشفى أولاً ، تشفى بقدرتها الخاصة . وحين مروا بمكانها فى المساء لم تكن قد بقيت منها عظمة واحدة ..

وفى المساء عادوا لكهوفهم بعد ما شربوا جرعة المساء ، حين دوى الصوت .

كان لا يكاد يسمع ، لكنه جعلهم يتصلبون . وقفوا وقد تدلت فكوكهم السفلى . ذبذبة متكررة تبعث الجنون وتخدر كل من يقترب من الجسم الشفاف .. للمرة الأولى والأخيرة قبل ثلاثة ملايين عام ، يدوى صوت طبول فى إفريقيا .

بدأ البدائيون يمشون كالثيام نحو مصدر تلك الجلبة . واحتشدوا حول العمود الحجرى ناسين مشاق اليوم .. والجوع فى أحشائهم .

تعالى القرعات وازداد الليل جهامة . وإذا استطالت الظلال بدأت البلورة تلمع . فى البدء فقدت شفافيتها وغمرها ضوء شاحب لبنى ، وثمة أشباح مبهمه تتحرك على سطحها . ثم بدأت تتخذ شكلاً شبيكياً راح يدور .

بسرعة وبسرعة دارت عجلة النور ومعها ازداد إيقاع الطبول ، ووقف البدائيون منومين مغناطيسياً ناسين الدرس الذى تعلموه من أسلافهم .. ما من أحد منهم يجروء على الابتعاد عن كهفه كل هذه المسافة .

العرض الضوئي يزداد إبهاراً .

كانوا يقفون غير عالمين أن عقولهم تُفحص ،
وأن أجسادهم تُرسم بالتفصيل ، وأن استجاباتهم
تُدرس . وفي النهاية كان الرجل البدائي الأقرب إلى
الجسم هو أول من عاد للحياة .

لم يفارق مكانه لكن عينيه راحتا تنظران حوله ،
وأصابعه تنفتح وتنغلق ، ثم انحنى ليمسك ببعض
الأعشاب ويحاول ربطها في شكل عقدة . بدا كأنما
تستحوذ عليه روح شريرة ، وأنامله تحاول القيام
بعمل معقد لم يقلح فيه من قبل . ولكنه لم ينجح
إلا في تهشيم الأعشاب الجافة فنهض وعاد متصلياً
عاجزاً عن الحركة .

حاول أحد صغار السن الشيء ذاته ، وفي هذه
المرة نجح . وعلى كوكب الأرض للمرة الأولى
ولدت العقدة الأولى .

البعض راح يفرد ذراعيه ، والبعض راح يحاول

أن تلامس أطراف أنامله بعضها ، جاء دور مراقب القمر
فوجد أن الشيء كف عن التألق ، ولكن دوائر متدرجة
في الصغر كأنها هدف رماية - أو عين الثور^(*) - ظهرت
على الجدار ، وبوازع من ذهنه وجد أنه يلتقط حجراً
فيلقي به نحو مركز الدوائر ، لكنه أخطأ .

قال له الأمر الصادر في ذهنه : جرب ثانية .. بحث
عن حجر ، وهذه المرة ضرب الجسم بصوت رنان
كالجرس . كانت ذراع مراقب القمر تتحسس ، وفي
المرة الرابعة كان قد دنا جداً من قلب الهدف ، فغمر
عقله شعور بالنشوة لا يمكن وصفه . ثم زالت السيطرة
عليه فلم يعد راغباً في عمل شيء إلا أن يقف ويراقب .

وهكذا راح واحد تلو الآخر من العشيرة يأتي بعمل ما
تحت الاستحواذ .. البعض نجح وفشل أكثرهم ، ونال
كل منهم جزاءه إما بالنشوة أو بتقلصات الألم .

(*) التعبير الإنجليزي يطلق على منظر دوائر الرماية اسم (عين

الثور) Bull Eye

وخبا وميض الجسم وكف عن رقصات الضوء ،
فابتعد البدائيون متجهين نحو كهفهم . ولم ينظر
أحدهم إلى الوراء ليرى الشيء العجيب ، الذي
يقودهم بضوئه إلى مستقبل لا يعرفونه ولا تعرفه
النجوم .

٣ - المدرسة ..

لم يتذكر مراقب القمر ورفاقه مارأوه ، بعد
ما كفت البلورة عن تحذير عقولهم ، وحين خرجوا
للبحث عن الطعام مروا بها دون أدنى انتباه ، فقد
صارت جزءاً من الخلفية المهملة لحياتهم لا يمكنهم
أن يأكلوها ولا يمكنها أن تأكلهم لهذا لا أهمية لها .

لم يكن هناك شيء غير معتاد ، ولم يمت أحد . وفي
المساء كانت البلورة مازالت تنتظر وتشتع نورها
الغامض ، ولكن البرنامج الذي أعدته كان مختلفاً
تماماً ، وقد انتقلت أشخاصاً بعينهم هذه المرة بينما
تجاهلت الآخرين .

حين جلس مراقب القمر في الكهف وقد نام الباقون ،
كان يشعر بلون من الحسد .. نوع من عدم الرضا عن
حياته . وهو شعور لم يخطر له قط ، ولم يدر ماذا

يفعل ليقاومه .. لكنه دون أن يدري كان قد خطا
خطوته الأولى نحو التحضر . كانت هناك رؤيا
تطارده لا يعرف مصدرها ، تمثل أسرة من رجل
 وامرأة وطفلين يبدو عليهم الشبع ويغطي الدهن
ضلوعهم ، ولا يبدو عليهم الجوع أو السقم ..

فى الأيام التالية استمرت هذه المشاعر .. كانت
مهمة شاقة ، لكن البلورة كانت صبوراً .. لم تتوقع
نجاحاً سريعاً لها ولا للنسخ الأخرى منها المتناثرة
عبر الكرة الأرضية . مائة فشل لن يحدث فارقاً بينما
يكفى نجاح واحد كى يغير مصير العالم .

إذ مشى قطيع الخنازير الوحشية ذات الأنياب ،
تصلب مراقب القمر ، كان للبداثيون والخنازير يتجاهل
بعضهم البعض ، لأنه لم يكن هناك صراع على
المصالح بينهم ولا تنافس على الطعام . لكنه الآن
وقف يراقب الخنازير .. كانت تحركه دوافع لا يستطيع
فهمها . وكأنما يحلم ، بدأ يفتش فى الأرض غير عالم
عن أى شىء يفتش ، لكنه سيعرفه حين يراه .

كانت صخرة مدببة طولها ست بوصات ، ولم تكن
ملائمة ليده بالضبط ، لكنها تصلح ، طوح يده
مندهشاً للثقل الذى اكتسبته وشعر بالقوة ، ثم اتجه
نحو أقرب خنزير .

كان حيواناً صغيراً أحمر حتى بمقاييس الخنازير . ولم
يأخذه بجدية إلا بعد قوات الأوان . سرعان ما هوى
الحجر عليه فهوى أرضاً ، بينما ظل باقى القطيع
واقفاً يأكل .

احتشد البداثيون حول مراقب القمر وفريسته فى
إعجاب مندهش ، ثم حمل كل منهم حجراً أو صخرة
وانهال على الخنزير الميت .

بعد قليل ابتعد البداثيون وقد سئموا هذه اللعبة ،
لكن مراقب القمر كان قد عرف الحقيقة .. حقيقة أنه
لن يجوع بعد اليوم .

٤ - الفهد ..

كانت الأسلحة التي تعلموا استعمالها بسيطة جدًا ، لكنها كانت متغير وجه الأرض وتجعل البدائيين هم السادة . كان أبسطها حجرًا يضاعف قوة الضربة عدة مرات . ثم هناك قطعة العظم التي تبعد مدى الهجوم وتبعد عنك المخالب والأنياب . بهذه الأسلحة صار الطعام الذي يجوب السافانا ملكا لهم .

كانوا بحاجة إلى أدوات أخرى ، فابتكروا مدي يمكنها أن تجرد العظام من اللحم ، وهي نموذج صالح للثلاثة ملايين سنة القادمة . كانت هي الفك السفلي لظبي ولن تكون هناك تحسينات حتى يجيء عصر الحديد . وهناك خنجر جاء من قرن غزال .

ربما لو منحوا الوقت لابتكروا هم هذه الأسلحة بأنفسهم ، لكن الوقت كان ضدهم ، وكانوا مهددين بالانقراض فعلاً . لقد منح البدائيون فرصتهم الأولى لكن لن تكون هناك فرصة ثانية .. لقد صار مستقبلهم حرقاً في أيديهم .

كان الأطفال يولدون وأحياناً يعيشون .. ضعيفين بلا أسنان ويموتون قبل الثلاثين . وخلال عام تبدل حال مراقب القمر وعشيرته بما يفوق الوصف .

لقد ولت ذكريات الجوع ، وبرغم أن الخنازير صارت خجولاً تحب التوارى ، فقد كانت هناك غزلان وقلباء .. كلها صارت فرائس للصيادين الجدد .

الآن صار بوسعهم - وقد زال عنهم الجوع - أن يجدوا متسعاً للتفكير . لم يربطوا قط بين هذه التغيرات والعمود الحجري الواقف قرب النهر . في الواقع كانوا قد نسوا تماماً أية طريقة أخرى للحياة .

لكن لا توجد يوتوبيا بلا عيوب . العيب الأول كان الفهد الذي ازدادت شهيته للبدائيين بعدما صاروا أحسن تغذية ، والآخر كان تلك القبيلة عبر النهر .. فلهيبت ما استطاع الآخرون أن يبقوا أحياء ، وبغناد رفضوا أن يموتوا جوعاً .

حلت مشكلة الفهد بالصفة ، نتيجة خطأ ارتكبه مراقب القمر ، برغم أنه وقتها وجد الفكرة عبقرية ورقص طرباً .

كانت هناك أيام عصيبة لا تفلح فيها القبيلة في صيد شيء ، وفى ذلك اليوم إذ عادوا لكهفهم وجدوا إحدى هدايا الطبيعة الثمينة : ظبى يرقد على الأرض وقد كسرت قائمته الأمامية ، لكنه كان قادراً على المقاومة ، وقد وقفت بنات أوى ترمق قرونة الحادة فى احترام .

التف البدائيون حوله فى حذر من قرنيه ، ثم انقضوا عليه بالحجارة فلم يتركوه إلا كومة من اللحم . لكن إذ نال الظبى راحتته النهائية كان الظلام قد حل ، واستعالت بنات أوى شجاعته ، وأدرك مراقب القمر أن كل هذا الجهد قد يضيع سدى . من الخطر البقاء هنا بعد الآن .

هنا خطرت له فكرة .. لماذا لا يجر الظبى للكهف ليأكله هناك ؟ لم تكن هذه أول مرة يبرهن فيها على أنه عبقري . ولم يتصور قط كم الجهد الذى سيكونه إياه هذا العمل وهو يجر الجسد الثقيل فوق المنحدر لولا معونة رفاقه . لكن تم الأمر فى النهاية ودخل الظبى الممزق من حافة الكهف ، وبدأ العشاء .

بعد الأكل جلس مراقب القمر بمعدة ممتلئة يتأمل النائمى من حوله .. لا يعرف السبب لكنه قرر الخروج من الكهف قليلاً .. جلس فى الخارج يراقب الوادى الصامت المظلم من تحته ..

هنا جاءه صوت حصوة تسقط .. كان خائفاً لكن الفضول يغمره اتجه مراقب القمر ليرى مصدر الصوت . لكن ما رآه جعله يتصلب مشلولاً من الرعب . على بعد عشرين قدماً فوقه كانت عيان تتفقدان تاراً وتتظران له مباشرة . وقد نومته إلى حد أنه لم يشعر بالجسد الرقيق الذى يزحف فى صمت بين الصخور . لم يتسلق الفهد قط إلى هذا الارتفاع .. لقد تجاهل محتويات الكهوف السفلى ، وهو يسعى الآن لنوع جديد من الفرائس بعد ما أثارت راحته الدم .

بعد ثوان دوى صراخ البدائيين من الكهوف العليا ، فكشر الفهد عن أنيابه بعدما أدرك أنه فقد ميزة المفاجأة ، لكنه لم يتراجع لأنه يعرف أنه لا يوجد ما يخشاه .

ودون تردد دخل الكهف الذى يفوح برائحة الدماء .

كان هذا خطأه الأول لأن البدائيين وجدوا أنهم محاصرون ، وقد منحهم هذا شجاعة وقوة واستعداداً للمواجهة .. تلك المواجهة التى يملكون أدواتها الآن .

شعر الفهد أن هناك خطأ ما حين تلقى أول ضربة على رأسه .. زمجر وأنشب مخالبه فى لحم طرى ، ثم زأر إذ اخترق شيء حاد خصره .. استدار حول نفسه ليضرب الظلال التى تصرخ وتلتف حوله .

شيء ما هوى على خطمه فأطبق عليه لكن أنيابه أطبقت على عظم عار .. والآن وفى مهانة لاتصدق كان هناك من يجره من ذيله ..

استدار وألقى بالمهاجم ليضرب الجدار .. لكن كان من المستحيل أن يفر الآن وسط كل هذه الضربات .. واستحالت زمجرته من الألم إلى الإنذار .. ومن الإنذار إلى الرعب الصريح .

هنا ارتكب خطأ ثانياً .. لقد نسى أين هو .. وثب من الكهف فقط ليهوى عبر المنحدر .. وسرعان ما دوى صوت ارتطام وهو يتهشم أسفل الأخدود ، ثم لم يعد من صوت إلا انهيار الأحجار فى الظلام .

راح مراقب القمر يرقص على مدخل الكهف .. فللمرة الأولى يجد أنه ليس الضحية العاجزة .. ولأول ليلة فى حياته نام نومًا هادئًا متصلًا .

* * *

٥ - لقاء في الفجر ..

في الطريق إلى النهر فجراً توقف مراقب القمر عند بقعة مألوفة ، وشعر بأن شيئاً ما غير موجود هنا .. شيئاً اعتاد أن يراه واختفى فجأة . لكنه لم يمعن التفكير لأنه كانت لديه أعمال أهم لهذا اليوم .

لقد اختفت البلورة بغموض كما جاءت .. مثلها مثل البروق والرعود ، صارت جزءاً من الماضي الذي لا وجود له .. لكن هذا لم يضايق مراقب القمر .

رآه أفراد العشيرة المنافسة من ناحية النهر الأخرى ، فبدعوا في الصراخ كما يحدث كل يوم ، لكن هذه المرة دون إجابة ..

بثبات وتصميم وصمت هبط مراقب القمر ورفاقه نحو النهر .. هنا صمت رجال القبيلة المعادية .. شعروا بشكل غامض أن هناك شيئاً ما غير مريح ، وأن هذه المواجهة سوف تختلف عن كل المواجهات السابقة ..

رفع مراقب القمر ذراعه في الهواء ، وكان يحمل غصناً غليظاً ثبت عليه رأس الفهد تلتصق أسنانه الحادة في الشمس .. وعبر النهر ..

كان ذو الأذن الواحدة زعيم العشيرة يقف ثابتاً .. ربما لأنه كان أشجع أو أغبى من أن يفر .. ربما لأنه لم يتصور أن هذا الخرق القاضح يحدث . لا فارق إذ هوى الموت على رأسه .

فر الباقون ، وبعد قليل سينسون كل شيء عن زعيمهم هذا ..

وإذ وقف مراقب القمر أمام الجثة كان يشعر بأنه سيد العالم .. لكنه لم يعرف ما يجب أن يفعله بعد هذا .. لكنه سيفكر في شيء ما ..

٦ - صعود الإنسان ..

لقد سيطر الإنسان على الكوكب .. زاحفاً
ببطء من قلب إفريقيا . مازال نادراً بحيث
يسهل ألا تراه وسط بلايين المخلوقات على
الأرض والبحر ، وما من دليل حتى الآن على أنه
سيستمر .

عبر مائة ألف عام منذ هبطت البلورة على
الأرض ، لم يخترع البشر شيئاً .. لكنهم اكتسبوا
مهارات عدة ، وصارت رماحهم أقوى . لم يعودوا
معرضين للموت إذا سقطت أسنانهم أو تهشمت ..
يمكنهم استخدام آلات تنتزع اللحم من العظام . مازال
أمام الكلام مليون سنة لكن الخطوات الأولى نحوه
قد بدأت .

ثم تغير العالم في أربع موجات كبرى يفصلها عن
بعضها ألفا عام . جاء عصر الجليد تاركاً أثره على
الكرة كلها وهناك من لم يقدرُوا على التكيف .

لكن البدائيين اكتسبوا مهارة في صنع الأدوات ،
وهذه بدورها جعلت أيديهم وعقولهم أكثر دقة ، من
ثم استطاعوا صنع أدوات أفضل .

واتقلت خبرات جيل إلى جيل آخر وازداد التقدم .
وتعلم الإنسان أن يكون له ماضٍ ، وبدأ يفهم معنى
المستقبل .

لقد استطاع ترويض النيران .. وأخلى الحجر
مكاته للبرونز ، ثم الحديد . تلت الزراعة الصيد ،
وصارت القبيلة قرية والقرية مدينة .

كان جسمه يضعف باستمرار مع الوقت ، لكن
قدرته على التدمير كانت تتزايد ، وتعلم كيف يقتل
الناس عن بعد دون التحام . الرمح ثم القوس ثم

٧ - رحلة خاصة ..

مهما غادرت الأرض تظل الإشارة هي نفسها ..
فكر د. (هايوود فلويد) في هذا .. لقد سافر للمريخ
مرة وللقمر عدة مرات ، ومحطات الفضاء أكثر مما
يتذكر .. لكن الشعور بالعجب والتوتر كان لا يفارقه كلما
دنت لحظة الإقلاع . كأنما لم ير الفضاء من قبل .

كانت النفقة التي أحضرته هنا من واشنطن تهبط
إلى منظر من أكثر المناظر ألفة لكنه كذلك أكثرها
إثارة في العالم .

قرب الأفق كان برج معننى لامع تغمره الأضواء ، واقفاً
هناك منذ عشرين عاماً كثر قومي ، وعلى مسافة بعيدة
منه شامخاً للسماء كلما هو جبل من صنع الإنسان ، كان
مبنى تجميع المركبات الذي مازال أكبر مبنى في الأرض .

الرصاصية وفي النهاية الصاروخ الموجه .. كل هذه
الأشياء أعطته قوة بلا حدود .

ومن دون هذه الأسلحة ما كان الإنسان ليغزو
العالم . لقد وضع فيها روحه وقلبه ، وخدمته هي
لعصور طويلة .

لكن الآن وما دامت هذه الأسلحة موجودة ، فإنه
يعيش في زمن ليس ملكة .

لكن هذه الأشياء الآن تنتمي للماضى وهو مسافر نحو المستقبل . استطاع لحظة الهبوط أن يرى من تحته متاهة من المباني ومهبطاً عظيماً للطائرات وفى النهاية تقف مركبة فضاء تلمع فى بركة من الأضواء ، متاهة لرحلتها إلى النجوم . وتحت تأثير خداع البصر خيل لـ (فلويد) للحظة أنه ينظر إلى بركة فضية صغيرة فى ضوء فلاش .

ثم بدأ يدرك الحجم الحقيقى للمركبة .. لا بد أن عرضها مائة قدم على الأقل بين جناحيها .

وهذه المركبة العملاقة - فكر فى نوع من الكبرياء - تنتظرنى . على قدر علمه تلك أول مرة تعد فيها رحلة كاملة لنقل رجل واحد إلى القمر .

كان الصحفيون ينتظرون ، وهو قد ألفهم بصفته رئيس المجلس القومى لعلماء الفلك .. لكن الوقت لم يكن مناسباً ، ولم يكن عنده ما يقال .. إلا أنه حرص على عدم مضايقتهم .

- « د. (فلويد) .. أنا (جيم فورستر) من (أسوشيتد نيوز) .. هلا أعطيتنا بضع كلمات عن رحلتك هذه ؟ »

- « آسف .. لا أستطيع قول شيء .. »

- « لكنك قابلت رئيس الجمهورية اليوم ؟ »

- « لوه .. أهلاً يا (مايك) .. يؤسفنى أنهم انتزعوك من الفراش بلا مبرر .. بالطبع لا تعليق .. »

- « هل هناك صحة لما يقال عن وباء فى القمر ؟ ماذا عن الحجر الصحى ؟ »

- « لا تعليق .. »

- « كان يتجاهل الأسئلة ، بينما صحفى قصير القامة يركض خلفه محاولاً أن يبقيه فى مجال الكاميرا .. على قدر علم (فلويد) لم تكن هناك مشكلة .. بل هناك أزمة دالمة .. »

- منذ عام 1970 بلغ تعداد العالم ستة بلايين ، ثلثهم فى الإمبراطورية الصينية .. شح الطعام وبدت نذر

المجاعة ، وحتى الولايات المتحدة كانت تعرف أن
أمامها خمسة عشر عامًا قبل الكارثة .

وبرغم الحاجة الماسة إلى التعاون الدولي ، كانت
الحدود الجغرافية مثلها مثلما كانت في الماضي .

والثمانية والثلاثون دولة نووية يراقب بعضها البعض
في توجس . لم تكن هناك جدوى من كل هذه القنابل
النووية لأن وضع توازن الخوف هذا يمكن أن
يستمر للأبد .. والآن يعرض الصينيون على الدول
التي لا تملك ترسانة نووية شراء خمسين رأسًا
نوويًا بتكلفة أقل من مائتي مليون ، وشروط سهلة
في السداد . ولم يفهم المراقبون سبب هذا العرض ،
وقد افترضوا أن الصينيين يملكون أسلحة جديدة
متطورة ، صارت القنابل النووية معها مجرد ألعاب .
كان هناك كلام عن موجات لاسلكي منومة ، وعن
أوبئة غامضة لا يملك العلاج لها إلا الصينيون . وفي
كل مرة يغادر فيها (فلويد) الأرض كان يتساءل
عما إذا كان سيجدها في مكانها حين يعود أم لا ..

رحبت به المضيئة على ظهر المركبة فشكرها ..
وجلس في مقعد من المقاعد الخالية ..

ربط الحزام ، على حين جاء صوت المضيئة من
مكبر الصوت :

- « صباح الخير .. هذه هي الرحلة الخاصة رقم 3
من (كنيدى) إلى المحطة الفضائية رقم 1 . نسوف
نفقد الوزن لمدة ثلاثين دقيقة .. الرجاء الالتزام
بالمقعد حتى تضاء علامة الأمان » .

لم يتمالك إلا أن ابتسم .. فالمضيئة مصممة على
روتين الطيران حتى في وجود مسافر واحد في
الطائرة كلها .. واسترخى في مقعده ..

هذه الرحلة ستكون دافعي الضرائب ما يربو على
المليون دولار . لو كانت بلا جدوى فلسوف يفقد عمله ..

كان الإقلاع صعبًا كالعادة .. قوة القبلة النووية في
المحرك خصصت كلها لانتزاع الطائرة من جاذبية

الأرض . وشعر بأذنيه تتبضان والدم يفور في
أوردته . الآن يفارق الأرض وعليها كل من أحب في
حياته .. أطفاله الثلاثة في الدار بلا أم بعدما فقدوها
في تلك الرحلة لأوروبا منذ عشر سنوات .

وجاء صوت الريان عبر مكبر الصوت :

- « نستعد للانفصال عن المرحلة الأولى .. الآن .. »

كان الشعور غير مريح .. ف (الأمام) صار الآن هو
(الأعلى) .. وهكذا تجد أن الطائرة تقف حرفيًا على
ذيلها .. الآن تغادر المركبة المدار الأرضي ، فلو لم
يكن مربوطًا بمقعده لطار .. على كل حال كانت
معدته مصرة على ذلك .. وتمنى أن تؤدي الأقراص
التي ابتلعها عملها .. إن لديه دوار فضاء وقد أصابه
مرة واحدة .. وهذه المرة تعتبر أكثر من اللازم
بالنسبة لمن يمارس عمله ..

- « سوف نهبط على محطة الفضاء خلال خمس

وأربعين دقيقة .. »

دنت منه المضيفة وسألته إن كان يرغب في شرب
شيء ، فاعتذر .. كان يشعر دومًا بأنه رضيع كلما
اضطر للشرب من تلك الزجاجات المطاطية بالشفاف ..
سألته وهي تزن كلماتها :

- « هل لي أن أسألك شيئًا يا دكتور (فلويد) ؟ »

- « حتمًا .. »

- « خطيبي جيولوجي في (كلافيوس) ، ونم أسمع
عنه منذ أسبوع .. كان يخبرني دومًا بمساره .. لك أن
تتخيل مدى قلقي .. هل تلك الإشاعات حقيقية عن
وباء في القمر ؟ »

- « حتى لو كانت حقيقية .. لقد حدث هذا مع وباء
الأنفلونزا عام 1998 ولم يمض أحد .. هذا كل
ما يمكنني قوله .. »

شكرته وابتعدت ، أما هو فغرق في التقارير الفنية
التي في حقيبته ..

لن يكون هناك وقت للقراءة متى وصل إلى القمر ..



بعد دقائق استطاع أن يرى المحطة الفضائية ..

٨ - موعد مداري ..

جاء صوت الريان بعد دقائق يقول :

- « لسوف نهبط .. الرجاء التأكد من حزام مقعدك .. »

أطاع فلويد ونحى أوراقه .. بعد دقائق استطاع أن يرى المحطة الفضائية رقم (١) على بعد أميال .. كانت الشمس تلمع على المعدن الثقيل للقرص العملاق الدوار ببطء - وقرب القاعدة كانت السفينة (أريس) التي هي حصان شغل الفضاء ، بأرجلها الأربع المناصصة للصدمات .

من هذا الارتفاع كان يرى الأرض .. يرى أكثر إفريقيا والمحيط الأطلنطي ..

وكان مركز محطة الفضاء يدور في اتجاه معاكس

لدوران المحطة ذاتها ، بحيث لا يشعر المسافرون
الهابطون عليها بعدم راحة نتيجة الدوران .. وهكذا
تلامست المركبة مع المحطة في نعومة ، جاءت
أصوات معدنية كالخدوش ، ثم صفر الهواء إذ تعادل
الضغطان .

اتفتح الباب العازل للهواء ، ودخل رجل يرتدى زي
المحطة . ورحب بدكتور (فلويد) .. إنه يدعى (نيك
ميلر) المسئول عن أمن المحطة . مشى (فلويد) وراء
(ميلر) عبر درج ملئ إلى قلب المحطة .. في البداية
كان يشعر بأنه خفيف الوزن جداً حتى إنه كان يمسك
(بالترازين) كى لا يطير .. حتى وصل استراحة
المسافرين بدأ يشعر بأنه اكتسب بعض الوزن .

كانت الاستراحة قد أعيد تجديد ديكورها منذ آخر
مرة كان هنا ، وكانت هناك كبائن للهاتف فقال
لمرافقه إنه راغب فى الاتصال بالأرض .. كانت هناك
كبائن كتب عليها (مرحباً فى قسم الولايات المتحدة)

وأخرى كتب عليها (مرحباً فى قسم الاتحاد
السوفييتى) .

طلب داره مستعملاً بطاقته الانتمائية ، وكان يعرف
أن (واشنجتون) نائمة الآن لأن الفجر مازال بعيداً ،
لكنه كان يعرف أن مديرة المنزل ستلقى المكالمة
على المسجل صباحاً .

ترك لها بعض التعليمات وطلب منها أن تقبل
الأطفال ، وتطمئنهم إلى أنه لن يتأخر ..

هنا فوجئ فى القسم السوفييتى بأخر شخص كان
يتمنى أن يراه .. وحاول أن يتواري لكن الألوان كان
قد فات ، كان هذا هو الدكتور (ديمتري مويسفتش)
من أكاديمية العلوم السوفييتية . كان (ديمتري) من
أعز أصدقائه ، لهذا كان آخر شخص يتمنى أن يراه
هنا والآن .

٩ - مكوك القمر ..

كان رائد الفضاء السوفييتي طويلاً نحيلًا أشقر يشي وجهه بخمسة وخمسين عامًا، قضى عشرة منها في بناء المرصد اللاسلكي العملاق على الجانب الآخر من القمر .

قال وهو يهز يده بحرارة وقوة :

- « مرحبًا يا (هيوود) .. يا له من كون صغير ! كيف حالك وحال أطفالك الرائعين ؟ »

- « بخير .. دائمًا نتكلم عن الوقت الرائع الذي قضيناه معك .. »

كان (فلويد) يتكلم بمودة ولكن بتشتت ذهني ..

- « وأنت ذاهب إلى القمر ؟ »

- « نعم .. هذه مرحلة ترانزيت لأكثر .. هل تعرف مستر (ميلر) ؟ »

- « بالطبع .. ولكن دعك من القهوة يا مستر (ميلر) ..

إنني مصمم على دعوة د. (فلويد) إلى الشراب .. »
وجلس الرجال جوار إحدى النوافذ العملاقة التي تريحهم الأرض ، بينما المحطة تدور مبتعدة عنها ببطء .. قال (ديمتري) وهو يعبث بمشروبه :

- « الآن ما كل هذا الكلام عن وباء في القسم الأمريكي من القمر ؟ هلا شرحت لي ما يدور ؟ »

شعر (فلويد) بالضيق .. ها نحن أولاء نبدأ من جديد .. كلما أسرعت بركوب المكوك إلى القمر كلما كنت أحسن حالاً .

- « الحجر الصحي مجرد احتياط .. لسنا حتى متأكدين مما إذا كان مطلوبًا .. لكننا لانترك الأمور للصدفة . »

- « وما هي أعراض المرض ؟ هل لنا أن نساعدكم ؟ »

- « آسف يا (ديمتري) لكن التعليمات بالصمت صارمة .. شكرًا على العرض على كل حال ، لكننا قادرون على تولى الأمر .. »

- « غريب أن يرسلوا عالم فلك لدراسة وباء .. »

- « أنا لم أجد عالم فلك .. أنا خبير علمي ، ومعنى هذا أنني أعرف لأشياء عن كل شيء في الكون ! »

- « إذن أنت تعرف ما هو TMA - 1 ؟ »

كلا (ميلر) يهتق من شرابه ، لكن (فلويد) كان من طينة أكثر صلابة ، وقد نظر للسوفييتي في برود وأعلن أنه لم يسمع عن هذا الموضوع من قبل .. قال السوفييتي :

- « لا عليك .. أنت لن تخذعني .. لكن لو وقعت في شيء أكبر من قدراتك فلا تضع الوقت قبل أن تصرخ طالباً العون .. »

وهنا أعلن (ميلر) أن وقت الرحيل قد جاء .. برغم أنه بقيت عشرون دقيقة ، فإن (فلويد) نهض في لهفة .. حتى إنه نسي أن الجاذبية هنا هي السدس ، وكاد يسقط لولا أن تثبت بالمنضدة ..

قال له (ميلر) وهما يتجهان إلى الجوازات :

- « أتمنى ألا يكون محققاً .. ألا نكون نتعامل مع شيء لا قبل لنا به .. »

« هذا هو ما جئت كي أقرره .. »

بعد خمس وأربعين دقيقة أفلعت المركبة (أريس) إلى القمر . من الغريب أن خفة الجاذبية تزيل الهموم معها .. كان هناك من قال إنك يمكن أن تخاف في الفضاء لكنك بالتأكيد لا تشعر بالقلق .. إن هذا حقيقي إلى درجة غير عادية . كان تناول الطعام سهلاً لأن الأطباق مثبتة إلى المنضدة ، وكل الأطعمة لزجة كي لا تطير في الهواء .. السلطة مغمورة في زيوت لزجة والصلصات كلها ثخينة .. الشيء الوحيد الممنوع هو الحساء الساخن وقطع الجاتوه ..

لم يكن السفر مملاً لأن الكثير من التقارير كانت بانتظاره ليقرأها ، فإذا تعب من ذلك ، كان بوسعه أن يطالع الصحف الإلكترونية كلها ، والتي تتغير صفحاتها كلما مرت بضع ثوان كي تلاحق سيل الأحداث على الأرض . كان من الصعب أن يتخيل

مزيداً من التطور أو التحسين على هذه الثورة فى الاتصالات ، لكنه كان يعرف أن المستقبل يعج بالاحتمالات ولن تلبث الأخبار الإلكترونية هذه أن تغدو عتيقة ، مثلما يبدو لنا (جوتنبرج) عتيقاً . وما لاحظته أيضاً هو أنه كلما تطورت الاتصالات ، كلما صارت الأخبار أكثر قتامة وسخفاً : اغتيالات .. قتل .. مجاعات .. ليس هذا مبرراً كافياً لانتقال الأخبار عبر الأثير .. لكن هذا ضرورى .. إن جرائد المدينة الفاضلة (يوتوبيا) لا بد أن تكون مملة إلى حد لا يطاق .

لما جاء موعد النوم أطفئت الأنوار ، وربط نفسه بالحزام كى لا يطير فى الهواء وهو نائم .. كانت الأريكة غير مريحة لكن فى ظروف انعدام الوزن هذه ، يمكن أن تجد أى شىء مريحاً .

حين صبحا من النوم كان القمر يملأ النافذة وقد بدأت إجراءات الهبوط .. كانت جبال القمر تختلف عن جبالنا ،

لكن تناقض الضوء والظلال عليها كان يمنحها جمالاً خاصاً بها .. إن علم الجمال الأرضى لايسرى هنا .

هبط المكوك فى الجانب المظلم من القمر .. ولم يكن مظلماً تماماً لأن الأرض الآن صارت تؤدى عمل قمر عملاق بالنسبة للقمر ، وكانت تغمر الوديان والجبال بضوء خافت مهيب .

عادت الجاذبية وبدأ المكوك يهبط فى ثبات وثقة ، تحاول النفاثات إبطاء هبوطه قليلاً . الشفرة الثنائية تؤدى عملها بكفاءة أسرع ألف مرة من عقول صانعيها .

لقد قام (فلويد) بالمغامرة التى ظل الناس يحلمون بها ألفى عام .. قام بها بمجرد رحلة روتينية عادية . لقد هبط على القمر .

١٠ - قاعدة كلافوس ..

(كلافوس) التى يبلغ قطرها 150 ميلاً هى ثانى أكبر فوهة على وجه القمر الذى نراه ، وتقع فى وسط المرتفعات الجنوبية . كانت مركزاً لسقوط الشهب والنيازك ، لكنها عرفت السلام أخيراً بعد بليون سنة .

الآن كان الإنسان ينشئ رأس جسره الأول على القمر ، وفى حالة الطوارئ تستطيع (كلافوس) أن تعتمد بالكامل على نفسها . كانت نظاماً مغلقاً على نفسه كأنها نموذج للأرض ذاتها ، حيث يتم تدوير كل كيماويات الحياة . وكانت هناك إضاءة صناعية لليل مع ضوء الشمس ، مع أكسجين صناعى مما ساعد فى نماء مساحات شاسعة من الخضرة ، مهمتها الأساسية تخليق الأكسجين ، لكن الغذاء مهمتها الثانية .

كان الأحد عشر ألف رجل وستمائة امرأة الذين يشكلون طاقم القاعدة ، فنيين أو علماء مدربين على أعلى مستوى . فبرغم أن الحياة على القمر صارت سهلة خالية من الأخطار ، فإنها كانت تضغط على الأعصاب وتتطلب استبعاد أولئك الذين يعانون الكلوستروفوبيا (رهاب الأماكن المغلقة) . كانت الغرف معدة بعناية وتحوى كل أسباب الراحة ، بالإضافة إلى لمسة ديكور تجعلك بزر تستبدل بالجدار منظرًا أرضياً بهيجاً .. وهو تذكير فى محله لكنه لم يكن مبرراً للمقيمين على الأرض ، والحقيقة هى أن كل فرد هنا قد كلف دافعى الضرائب مائة ألف دولار . لكن لم يكن هذا فناً للفن بل كان فناً للحفاظ على صحة الطاقم العقلية . بعد آلاف السنين تمكن العقل البشرى أخيراً من أن يجد شيئاً كالفضاء له نفس متعة الحرب ، لكن للأسف لا تتعم كل الدول بهذه اللذة .

أما عن موضوع الجاذبية ، فهو يحتاج إلى وقت

طويل حتى تعاقده ، وحتى تكتسب عددًا من الانعكاسات الصحيحة . هنا عليك للمرة الأولى أن تفرق بين الكتلة والوزن .

وصلت المركبة التي تقل طاقم الترحيب ، وكان يقودها (رالف هالفورسون) .. مدير القطاع الجنوبي ، ومعه كان الدكتور (روى ميكيلس) وهو جيولوجي أشيب صغير الحجم عرفه (فلويد) من زيارته السابقة . وكان ترحيبهم به حارًا يوحى بأنهم كانوا يحتاجون إلى فرصة للتحرر من مخاوفهم . ولكن المجاملة اقتضت ألا يتحدث أحدهم الآن عن سبب الرحلة .

استقلوا حافلة فضائية صغيرة أوصلتهم إلى القاعدة (كلافيوس) . بعد رحلة سريعة عبر أنابيب وممرات وأنابيب تهوية ، وجد (فلويد) نفسه في مبنى الإدارة . شعر براحة حين رأى الآلات الكاتبة والمكتريرات والحاسبات الآلية والهواتف التي ترن . واقفاده (هالفورسون) إلى غرفة كتب على بابها (المدير) .

هنا اندفعت فتاة صغيرة إلى داخل المكتب وصاحت :
- « بابا .. أنت وعدتني باصطحابي إلى سطح القمر لكنك لم تفعل .. »

نظر لها (فلويد) في حيرة .. كانت في الرابعة من عمرها ، وبدا له وجهها مألوفًا .. ثم تذكر .. فقال (هالفورسون) :

- « نعم .. هذه (دينا) .. أنت قابلتها في زيارتك السابقة عندما كان عمرها سنة واحدة .. الأبطال ينمون هنا بسرعة مع الجاذبية المنخفضة .. ويشيخون أبطأ منا .. »

سألها (فلويد) :

- « هل تحبين زيارة الأرض ؟ »

قالت في اشمزاز :

- « لا .. الجاذبية هناك قوية تجعل الجري صعبًا .. والناس في كل مكان .. »

قال (فلويد) لنفسه : إن هذا هو أول جيل أطفال يولد في الفضاء . فكرة مبهرة لكنها كذلك محزنة .

على الأقل سيكون هناك مفر دائم من الأرض المنهكة
المريضة لأولئك الذين يعشقون الحرية . للرواد والمغامرين
الذين لن يحملوا للفأس والبنشقة هذه المرة بل يحملوا
القوة الذرية والدفع البلازمي . لقد جاء الوقت كي تقول
الأرض لأطفالها . مثل كل أم أخرى . وداعاً ..

جلس الرجلان في المكتب ، وقدم المدير بعض
الشراب الصناعي لضيفه ، ثم استرخى في مقعده .

سأله (فلويد) :

« كيف الأحوال هنا ؟ »

« كل شيء على ما يرام .. لكن لدينا نوع من
المشاكل الاجتماعية .. هذا التعتيم الإعلامي .. لدينا
أفراد طاقم هنا لا يعرف أهلهم على الأرض شيئاً
عنهم ، ويفترضون أن الوباء قد فتك بهم . »

قال (فلويد) :

« أنا آسف .. لكن ما كان بوسعنا أن نجد غطاء
أفضل لنا من هذه القصة .. لقد تكلمت مع السوفييتي
(مويسفيتش) وقد صدق القصة ذاتها .. »

« هذا يجعل الأمن سعيداً .. »

« ليس تمامًا .. فالرجل سمع عن TMA-1 .. إن
الإشاعات تتناثر برغم أننا لا نعرف تفاصيل
الموضوع .. ليس قبل أن نعرف ما إذا كان الصينيون
وراء هذا كله .. »

★ ★ ★

١١- مفارقة ..

تم الاجتماع فى غرفة مستطيلة واسعة تتسع لمائة شخص بسهولة . كانت مزودة بأحدث وسائل التقديم البصرية والسمعية ، لكن (فلويد) انبهر ببعض العلامات التى وضعت على الجدران فى اهتمام عظيم ، تقول : ممنوع السير على العشب .. ممنوع الوقوف .. إنذار الحريق .. إلى الشاطئ .. عبور ماشية ..

كان هذا مما يمس المشاعر .. ففى هذا العالم البارد المعادى ما زال هؤلاء القوم يذكرون الأشياء التى تركوها خلفهم ، والتى لن يفتقدوها أطفالهم أبداً .

جلس (فلويد) على حين وقف (هالفورسون) يقدمه للجالسين :

- « سيداتى سلتنى .. لاحتاجة بى إلى أن أخبركم أنها مناسبة مهمة جداً .. كلنا نعرف الدكتور (هيوودفلويد) من قبل .. وقبل أن نجتمع لديه ما يقوله لنا .. »

مشى (فلويد) إلى المنبر وسط تصفيق مهذب وابتسم وقال :

- « جئت أولاً كي أبلغكم تحيات رئيس الجمهورية على جهودكم التى سيعرفها العالم يوماً ما ، وأعرف أن بعضكم قلق بشأن كل هذه السرية التى نحيط بها عملنا .. لكنى أذكركم أن هذا وضع خاص .. وليس بوسعنا ارتكاب أخطاء .. هذه هى وصية الرئيس لكم .. » وعاد لمقعده ، من ثم نهض دكتور (ميكيليس) وخبث الأضواء .

ظهرت على الشاشة صورة للقمر .. وفى المنتصف بقعة بيضاء تبدو بالضغط كأن أحدهم بعثر جوالاً من الدقيق على وجه القمر .

- « هذا هو (تايكو) .. ترونه بوضوح تام كأنما يسيطر على نصف كرة القمر . كنا نجرى مسحاً للقمر من قمر صناعى ، وكانت هذه الصورة التى بدأت كل مشكلاتنا .. »

ظهرت على الشاشة صورة مسح مغناطيسى منتظم

للقمر ، لكن فى ركن الشاشة كانت هناك حلقات متداخلة تدل - حتى بالنسبة لعين غير مدربة - على أن هناك شيئاً ما خطأ .. وفى أسفل الصورة ظهرت عبارة :

Tycho Magnetic Anomaly - 1 (TMA-1)

- « كنا متحيرين وخطر لنا أن هناك شيئاً يحوى صخوراً مغناطيسية ، لكن لم نر شيئاً كهذا .. وبالتالي كان علينا أن نلقى نظرة .. أرسلنا فريق حفر أول ، حفر التربة القمرية وهى مهمة ليست سهلة فى ثياب الفضاء ، ثم عجزت معداتهم عن الوصول لعمق أكبر ، من ثم أرسلنا فريقاً أكبر .. عاد لنا على عجلة بالنتائج التى تعرفونها .. »

ساد الصمت القاعة .. لم يكن هناك على الأرض أو القمر أكثر من مائة واحد يعرفون محتوى الصورة التالية .

كانت الصورة تمثل رجل فضاء فى ثياب حمراء براقية

يقف فى حفرة ويشير إلى جسم أسود ضخّم ارتفاعه نحو عشر أقدام ، واتساعه خمس ، وقد ذكر (فلويد) بشاهد قبر عملاق . كان الجسم أسود تماماً كأنما يمتص كل الضوء الساقط عليه ولا تفاصيل على سطحه .

- « هذا هو TMA-1 وهو يبدو حديثاً .. ليس كذلك ؟ لا يدعشنى أن أعرف أن البعض توقعوا أنه يخص الصينيين بعد حملتهم الأخيرة ، لكننا استطعنا تحديد عمره جيولوجياً .. والدكتور (فلويد) يوافقنى فى رأى ، ولسوف نجازف بسمعتنا من أجل هذا .. هذا الجسم لا علاقة له بالصينيين .. بل لا علاقة له بالبشر .. إنه يعود إلى عهد لم يكن فيه بشر على الأرض .. إن عمره ثلاثة ملايين من الأعوام .. وما نراه هو أول دليل على وجود نكاء يتجاوز الأرض .. »

١٢ - رحلة في ضوء الأرض ..

ناظرًا من نافذة المعمل المتحرك ، كان بوسع (فلويد) أن يرى أمامه طريقًا محددًا حيث تركت المركبات العديدة أثرها على تربة القمر الهشة . في الواقع كان من الصير أن يضل أحد طريقه طيلة المائتي ميل الفاصلة بين (كلافيوس) و TMA-1 ..

كانت النجوم البراقة في السماء لا تختلف في شيء عما تراه في الليل في (كولورادو) ، مع فارقين مهمين : الأول هو الأرض ذاتها .. منارة براقية في الأفق الشمالي تسطع بضوء أقوى بـ مائتي عشرة مرة من القمر المكتمل . الثاني كان قمعا مخروطيا يشق السماء الشرقية ، ويوحى بنيران عظمى تختفى تحت حافة القمر ، كان هذا مجدا شاحبًا لم تره عين بشر على الأرض إلا في حالات الخسوف الكلى . كان

هذا هو الإكليل .. بشير الفجر القمري .. معلنا أنه بعد قليل ستغمر الشمس هذه المنطقة .

كان (فلويد) يفكر .. ثلاثة ملايين سنة ! كل التاريخ البشرى المكتوب بما فيه من إمبراطوريات وممالك وحروب يغطي فقط واحدًا على الألف من هذا الزمن ، لم يكن هناك حيوان ولا بشر وقتها حين دفن هذا اللغز نفسه في أجمل فوهات القمر وأكثرها سطوعًا ، إن من دفنه هناك أراد أن يتحاشى زلازل القمر .. لقد أراد الأبدية ذاتها ..

حتى هذه اللحظة فشلت كل محاولات (ميكيليس) ورجاله للحصول على عينة من هذا الجسم البراق الأسود ، لكنهم كانوا يعرفون أنه لن يقاوم الليزر .. لا شيء يقاوم هذه الطاقة المركزة .. وقد ترك القرار لـ (فلويد) الذي كان يعرف أن استخدام أشعة إكس ومجسات السونار لا بد أن تجرب جميعًا ، قبل اللجوء إلى طاقة الليزر القوية . إنها عادة بربرية أن تدمر

الشيء الذي لا تستطيع فهمه .. لكن البشر بالفعل
برابرة بالنسبة للكائنات التي صنعت هذا الشيء ..

ومن أين جاءت هذه الكائنات ؟ من القمر ذاته ؟

لا .. هذا مستحيل . لو كانت هناك حياة على
القمر ، فلا بد أنها هلكت في آخر حقبة لتشكل الفوهات
القمرية . حين كان سطح القمر أبيض ملتهباً .

الأرض ؟ صعب وإن لم يكن مستحيلاً .. لو كانت
هناك حضارة عظمى في حقبة تاريخية ما ،
واستطاع أفرادها الوصول للقمر ، فإننا كنا حتماً
سنجد أثراً لهذه الحضارة ..

هكذا يبقى احتمالان : الكواكب أو النجوم ..

لكن هذا الاحتمال يقل بعيداً ، لأن العلماء قد
أثبتوا مراراً أن الرحلة بين النجوم مستحيلة .. إن
الرحلة إلى القمر قد تكون مؤثرة ، لكن أقرب نجم
لنا هو على بعد أكثر بمائة مليون مرة ..

بدلت المركبة تتحدر بزاوية مربعة ، وفكر (فلويد)
في أنهم يهبطون الآن إلى قلب الفوهة العملاقة
(تايكو) .. ولم تكن هذه الفكرة مبهجة جداً ..

الآن صار يرى الأضواء المميزة لمساكن العمال ..
وقربها محطة إذاعة وآلات حفر عملاقة . برغم
ضخامة المنظر بدت هذه المساكن موحشة جداً هشة
جداً وسط كل عظمة الطبيعة من حولها .

لقد انحدرت المركبة عبر الفوهة العملاقة ، والآن
يرى (فلويد) أمامه الـ TMA-1 ..

كانت الرؤية صعبة في البداية ، وكان يرى ما بدا
له كمستطيل قطع من ورقة كربون . كأنه بلا سمك
على الإطلاق . لقد كان الجسم يعكس أقل القليل من
الضوء ، لهذا كان يبدو للعين كأنه سلويت .

توقفت المركبة قرب الجسم الذي كان لونه الأسود
كأنما صنع من الليل ذاته .. لا توجد به علامات أو
خدوش . واللحظة خطر له أن يكون هذا تكويناً طبيعياً

جيولوجيًا ثم استبعد هذا الاحتمال الذي استبعده
العلماء هنا منذ زمن .

انبعثت الأضواء من عشر الكشافات المحيطة
بالحافة .. وبالطبع لم تظهر الأشعة في جو القمر
المفرغ من الهواء ، لكن الجسم امتص ما سقط عليه
من إشعاعات ..

فكر (فلويد) في رعب : هذا صندوق بندورا
ينتظر الإنسان الفضولى ..
فماذا فيه ؟

١٣ - الفجر البطيء ..

تحت قبة الضغط في الموقع ، كان الزحام شديداً
بشكل غير مريح . وارتدى (فلويد) ثياب الفضاء
التي صارت مريحة في هذا العصر وتختلف كثيراً
عن دروع الفرسان الثقيلة التي كانت تلبس في بداية
عهد استكشاف الفضاء . وانفتح الباب المعادل
للضغط فخرج إلى البيئة القمرية الترابية ، ومن
الغريب أن البذلة كانت تشعره بالآلفة نوعاً .. لعل
ثقلها كان يمنحه سيطرة ما على نقص الجاذبية .

كان ليل القمر الذي استغرق أربعة عشر يوماً ،
موشكاً على الانتهاء .. وبدأ الإكليل في الشرق كأنما
هو قمر مزيف ، وفجأة تحولت السماء إلى شيء
كالنيران بسبب أول إشعاعات شمسية .

كانت الفوهة مازالت في الظل ، لكن ضوء الشمس

أظهر داخلها جيدًا . وشعر (فلويد) وهو يقترب من الجسم الغريب بالعجز . هنا منذ ثلاثة ملايين سنة مر شيء ما وترك هذا الرمز المجهول ، والذي ربما لا يمكن معرفة كنهه أبدًا ، وعاد إلى النجوم .

قرر أن يجرى تجربة .. مشى ليقف ما بين أشعة الشمس والجسم العماق .. ويحث عن ظله فلم يجد أثرًا له ، الآن هناك عشرة كيلوات من الحرارة تسقط على الجسم ، فلو كان بداخله شيء ، فلا بد أنه ينضج ببطء .

فجأة سمع صفييرًا مزعجًا من سماعتى الأذن فى بذلة الفضاء .. رفع يديه لا شعوريًا كي يسد أذنيه ، ثم تذكر وبدأ يعث بأزرار التحكم فى الصوت .. وبينما كان يحاول خفض الصوت دوت ثلاث صفارات أخرى .

نظر إلى الواقفين حوله فوجدهم فى ذهول ، وأدرك أنه ليس الوحيد الذى يمر بهذه الضوضاء . إن الجميع يسمع هذه الصرخات الإلكترونية الناقبة . بعد ثلاثة ملايين عام ، هو ذا TMA-1 يحيى الفجر القمري .



فجأة سمع صفييرًا مزعجًا من سماعتى الأذن فى بذلة الفضاء .. رفع يديه لا شعوريًا كي يسد أذنيه ..

وعلى بعد مائة مليون ميل وراء المريخ ، فى
الفضاء الخالى حيث لا بشر ، سبحت السفينة
(مونيتور 79) ببطء بين النجوم . طيلة ثلاثة أعوام
ظلت تؤدي عملها بلا أخطاء ، والفضل للعلماء
الأمريكيين الذين صمموها ، والبريطانيين الذين
بنوها ، والفنيين الروسين الذين يقودونها .
كانت هوائياتها تسجل كل شيء من ضوضاء الفضاء
ومجساتها الشعاعية تحلل الأشعة الكونية القادمة ،
بينما تلسكوبات النيوترون تتلصص على النجوم التى
لن يراها أحد أبداً .

وفى كل يوم كانت حصيلة المعلومات التى تراكمت
بصير ، ترسل إلى الأرض فى نبضات لا تستغرق
أكثر من خمس دقائق بسرعة الضوضاء يصل هذا
النبض بعد ربع ساعة إلى وجهته . وسوف يتم
تحليل هذه النبضات وتخزن فى شرائط إلكترونية فى
و(واشنطن) و(موسكو) .

لم يكن أحد يعرف ما سوف يهتم العلماء معرفته
بعد خمسين أو مائة عام من الآن ، لهذا كانوا
يحتفظون بكل شيء ، فى اعتزاز باعتبار هذه
المعلومات كنوز البشرية الحقيقية الأثمن من الذهب
المخبأ فى المصارف .

الآن قد لاحظت المركبة نشاطاً خافتاً لكنه ملحوظ
فى مجموعتنا الشمسية .. نشاطاً ليس كالذى اعتادته
من قبل ، وهكذا سجلت كل شيء وأرسلته للأرض
كى تعرف معناه ..

نفس الشيء لاحظته (أوربيتر 15) التى تدور حول
المريخ ، والمذنب الصناعى 5 الذى يجتاز الفضاء البارد
بعد (بلوتو) الآن نحو مدار لن يبلغه قبل ألف عام
من الآن .

وعلى الأرض لم تتلق الحاسبات الآلية قط اتصالات
كهذه من أربعة مجسات فضائية مختلفة يدور كل
منها فى مكان من الكون على بعد ملايين الأميال .

III = بين الكواكب

١٤ = ديسكفري ..

لم تكن السفينة قد ابتعدت عن الأرض أكثر من ثلاثين يوماً ، إلا أن رائد الفضاء (ديفيد باومان) كان يصعب عليه أحيانا أن يصدق أنه عرف على الإطلاق أى وجود آخر غير عالم (ديسكفري) الصغير المطلق .

كل تدريباته وكل رحلاته السابقة إلى المريخ والقمر بدت كأنما تنتمي لرجل آخر ..

كان (فرايك بول) يقره على هذا ، وأحيانا كان يتحسر مازحا على أن أقرب طبيب نفساني هو على بعد مائة مليون ميل .

كان المشروع معدا منذ خمس سنوات ، باسم (المشتري) ، ولكن فجأة تغير كل شيء . ستذهب الرحلة فعلا إلى المشتري لكن لن تتوقف هناك . بل ستستخدم جاذبية الكوكب لتدفعها أكثر نحو الحلقات المجيدة لكوكب (زحل) ، ولن ترجع أبداً .

وإذ درس الفنيون هذا في (جودار) على الأرض بدا واضحا أن شيئا ما عبر المجموعة الأرضية .. بدت الصورة واضحة كأنما هي دخان طائرة عبرت السماء الصافية ، أو آثار أقدام على ثلج بكر .

نمط غريب من الطاقة قد انبعث من سطح القمر وهو الآن يتجه نحو النجوم .

بالنسبة لطاقتها لم تكن هناك نية الانتحار ، فهم
سيعودون بعد سبعة أعوام يقضون خمسة منها في
السبات ، حتى تنقذهم (ديسكفري - 2) التي لم تب
بعد . وكانت كلمة (إنقاذ) غير مستحبة لأنها توحي
بنوع ما من فشل التخطيط ، لذا كانوا يستعملون
لفظة (استعادة) . ولمسوف يتم إرسال النتائج أولاً
فالأول للأرض ، حتى لو لم يعد الرواد سوف تبقى
اكتشافاتهم .

كان (باومان) يحسد الطعام الثلاثة النائمين الذين
لا دور لهم إلا في مدار (زحل) ، فهم تحرروا من الهم
والممل والمسئولية . يعنى بهم الحاسب الآلى ، فلا ترى
منهم إلا مقياس التنفس ورسم القلب على الشاشة
ورسم موجات المخ التي صارت الآن هادئة بلا نبضات
أو خفقات تميز نشاط العقل البشرى المحموم .

حين أفاق من السبات بدوره لم يكن واثقاً .. هل
حقاً مرت أعوام أم لا ؟ هل انتهت المهمة ؟ هل
السفينة (ديسكفري - 2) هنا لتعيده للوطن ؟ هل
حقاً لم يخسر هذه الأعوام التي نامها ؟ كان من

المستحيل التفكير فى شيء ، وشعر بهواء دافئ
يذيب الصقيع الذى كان فيه فى السبات ..

جاءه صوت وبود لكنه - كما يعرف - صوت رقمي :
- « لقد عدت للعمل يا (ديف) .. لا تنهض أو
تحاول أية حركات عنيفة .. لا تحاول الكلام .. »
كان الآن يفهم معنى هذا .. لقد انتهت المهمة
وجاءت سفينة العودة ، وتم تشغيل نظام الإحياء
الآلى ..

لكنه يشعر بالجوع . ولا بد أن الكمبيوتر قد شعر
بهذا ..

- « هناك زر جوار يدك اليمنى يا (ديف) ، فلو
أردت أن تأكل أرجو أن تضغط عليه .. »

ضغط الزر وبعد دقائق هبطت ذراع معدنية وشعر
بحلقة بلاستيكية توضع فى فمه .. راح يمتص فشعر
بسائل حلو المذاق دافئ ينساب فى حلقه معيداً إليه قواه .

شعر بأنه يستطيع الآن أن يحرك ذراعيه ، وأن
المنشي لم يعد حلمًا مستحيلًا ، ترى ماذا حدث في
الأشهر التي تلت رحيلهم عن الأرض ؟ هل فقد
الذاكرة ؟ لكن هذا سرّه .. لو كان يذكر كلمة (فقد
الذاكرة) فلا بد أن عقله مازال يعمل ..

جاءه صوت آدمي من مكبر الصوت يقول :

— « لا تقلق يا (ديف) .. أنا (فرانك بول) ..
أراقب نبضات قلبك وتنفسك بعناية وكل شيء على
ما يرام .. الآن نفتح الباب ونخرجك .. »

ثم دخلت مجموعة من الظلال الغرفة .. هنا فقط
عادت له ذاكرته واستعاد كل شيء .

لن يرى سماء المشتري التي تبعد عنه عامًا ..
إنه مازال في مركز التدريب في (هوستون) .

١٥- هال ..

كان هناك على (ديسكفري) تلسكوب واحد مصوب
إلى الأرض ، وكان من الصعب أن ترى معالم الأرض
الجغرافية بوضوح من هذه المسافة .. لكن (ديف)
لم يندم على مطاين الأرض التي ابتعد عنها .. لقد
رأها جميعًا وعمره بعد خمسة وثلاثون عامًا .
ولسوف يراها من جديد يوم يعود شهيرًا ثريًا .

كان الفرد السادس من الطاقم لا يبالي بهذه الأشياء ،
لأنه لم يكن بشريًا .. كان هو الكمبيوتر HAL 9000 بالغ
التعقيد (*) ، والذي هو العقل والجهاز العصبي لهذه
المركبة . كان (هال) قطعة فنية من ثورة الكمبيوتر
الثالثة ، والتي تحدث كل عشرين عامًا . أول الحاسبات
تم بناؤه عام 1940 حين ظهرت حاسبات غبية خرقاء

(*) في نسخة خفيفة لاختار المؤلف اسم HAL للكمبيوتر باختيار
الحروف السابقة في الترتيب الأبجدي لـ IBM ولسوف نعرف من
القصة أن استعمال حروف IBM كان يعرضه للملاحقة القانونية .

مثل ENIAC . ثم فى الستينيات تقدمت الإلكترونيات وبدأ أن إمكانيات الذكاء الصناعى ليست مستحيلة .

عام 1980 برهن (مينسكى) و (جود) على أن شبكة الاتصال العصبى يمكن توليدها أوتوماتيكياً . ونمت العقول الصناعية بطريقة مماثلة للعقول البشرية . إن التفاصيل الحقيقية لن تُعرف أبداً والمهم أن المحاولة نجحت والنتيجة النهائية هى ذكاء صناعى يمكنه أن يحاكي أكثر نشاطات العقل البشرى بسرعة أكثر . كان هذا مكلفاً جداً ، وبالتالي لم تكن هناك إلا وحدات قليلة من (هال) .

لقد تدرب (هال) على المهمة جيداً مثل رفاقه البشرىين . وبالإضافة لسرعته لم يكن ينام أو يتعب . كان عليه متابعة الأكسجين والحرارة وكل العوامل التى تعتمد عليها حياة الحمولة البشرية الهشة . بالإضافة لهذا كان (هال) قادراً على تولى القيادة ، فى حالة الطوارئ لو لم يرد أحد على إشاراته سيحاول إيقاف النيام ، فلو فشل سيطلب الأرض طالباً التعليمات .

لو لم ترد الأرض سيتخذ الإجراءات التى يجدها ضرورية لإكمال الرحلة ، لتى يعرف هو فقط هدفها . كان (بول) و (باومان) يتكلمان يوماً على كونهما حارسين لا أكثر على سفينة تعرف كيف تقود نفسها . والواقع انهما كانا سيذهلان لو عرفا مدى دقة هذه المزحة .

كان (بول) و (باومان) يعرفان ما عليهما عمله يوماً فيوماً ، وكانا يتناوبان السهر ولا ينامان فى الوقت نفسه أبداً ، وبرغم أن (بول) كان هو القائد رسمياً فإن أى مراقب من الخارج كان يستحيل أن يعرف الحقيقة ، فالرجلان يتبادلان الرتب والمهام ويتولى كل منهما القيادة اثنتى عشرة ساعة يومياً ، بهذا كان كل منهما يحتفظ بيقظته ونشاطه العقلى ، بالإضافة إلى أن هذا يقلل الاحتكاك أو الشجار .

كان (بومان) يبدأ يومه فى السادسة بتوقيت (إفيريس) الكونى الذى يستعمله رواد الفضاء ، فلو تأخر كان (هال) يوقظه بالكثير من الأصوات . ثم يدخل الحمام ، ويمارس تمريناته الرياضية الثابتة ، ثم

يتناول الإفطار وهو يطالع الأخبار الإلكترونية التي لم تكن تغنيه فيما سبق ، أما الآن فهو يلتهم أصغر مطومة للتهاماً ، ثم يجلس إلى لوحة القيادة يطالع الأرقام ويتأكد من أنه لا يوجد خطأ ما .. ثم في الساعة 1600 يتفقد آلات السفينة شديدة التعقيد ، ويصعد ليطالع بعض كتب المكتبة الإلكترونية التي كان يحبها بشدة خاصة الأوديسة التي كانت أقرب الكتب لقلبه ، ربما يلعب الشطرنج أو الطاولة مع (هال) .. لكن لو ترك (هال) وشأنه لربح كل الألعاب ، لهذا يرمج على أن يربح النصف فقط في الساعة 2000 يتناول العشاء مع (بول) ويتصل بالأرض . كان غير متزوج .. فمن الصعب أن ترسل رب أسرة إلى رحلة كهذه .. لهذا كان يتصل بفتيات يعرفهن على الأرض ، وكان يعرف أن ملأت الأذان تسمع ما يقول ، لذا كان يتحفظ .. ومع الوقت بدأت حرارة المكالمات تخبو .. وتلك هي الضريبة التي يجب أن يدفعها رائد الفضاء كما كان يدفعها البحار من قبل .

وكان أعظم أمل لدى طاقم (ديسكفري) هو ألا يحدث شيء يفسد هذا الهدوء الذي تمضي به الرحلة .

١٦ - عبر الكويكبات ..

مضت (ديسكفري) أسبوعاً بعد أسبوع في طريقها كأنها عربة ترام تمشي في مدارها المحدد سلفاً . فلم تتطلب أقل لمسة لمفاتيح تحكمها . لم تكن هناك شواطئ ترتطم بها ولا خطر من الاصطدام بمركبة أخرى . لكن لم يكن الفضاء خالياً ، وكانت هناك كويكبات صغيرة أقرب إلى جلاميد صخر عائمة في الأثير ، وكان ارتطام الواحد منها بسرعة عشرة آلاف ميل في الساعة بالسفينة يعني نهايتها ، لكن لم يكن من شيء يمكن عمله ، واحتمال الارتطام أصلاً كان شبيه معدوم .

مثلاً كان اللقاء الأول بينهم وهذه الكويكبات مع الكويكب الذي يطلق عليه اسم 7794 وهو مجرد صخرة عملاقة ، رآها العلماء يوماً ونسوها ، لكن الحاسبات

العلاقة على الأرض لم تنسها ، ولم ينسها (هال) ..
وقد ذكر (باومان) بذلك ، وأظهر له على الشاشة
ذلك الجسم مع إحداثياته .. كان يتحرك ببطء على بعد
نصف مليون ميل ، لكن هذه المسافة سوف تتحول
إلى لمسة يد بعد قليل .

التقطت الكاميرات آلاف الصور للجسم الذي يعبر
الفضاء بسرعة ثلاثين ميلاً في الثانية ، والذي يدور
حول نفسه كل دقيقتين .. شعر (باومان) و (بول)
كأنهما بحاران يريان جزيرة لا يحق لهما النزول
إليها . درساه بالرادار بل وكان الوقت يسمح بإرسال
مجس . كان هذا المجس هو قطعة معدنية أطلقها
من السفينة وتم حساب اتجاهها بحيث تلاقى الكويكب
وتتغرس فيه .

انطلقت القذيفة وارتطمت بالكويكب فتوهجت .. إذ
تحولت الطاقة التي تحركها إلى حرارة ، وعلى الأرض
سيقوم العلماء بتحليل تركيب الذرات المحيطة بالقذيفة

ليعرفوا للمرة الأولى التركيب الكيماوي الدقيق لأحد
الكويكبات .

عادة وحيد من جديد وكذا سيبقيان حتى يريا
أول الأقمار الخارجية للمشتري بعد ثلاثة أشهر من
الآن .

الآن كان المشتري يملأ السماء .. كأنه نصف القمر
الذي نراه على الأرض ، مع أحزمة السحب المحيطة
به ظاهرة بوضوح . وأقماره المسماة (أيو)
(أوروبا) و (جانيميد) و (كالستو) كبيرة الحجم
إلى حد أنها كانت تعتبر كواكب مستقلة في أي عالم
آخر ، لكنها هنا مجرد أقمار تابعة .

وقد راح (باومان) يرمقه في انبهار مذكراً نفسه
بأنه يفوق حجم الأرض إحدى عشرة مرة . وراح
جهاز اللاسلكي يلتقط زئير المشتري .. لقد عرف
العلماء من الخمسينات أن الكوكب يرسل أصواتاً

عالية طيلة الوقت ، ومن حين لآخر يقطع هذا الزنبر
صغير قصير كأنه صراخ طيور بلهاء .

حتى بسرعة مائة ميل في الساعة ، سوف تحتاج
(ديسكفري) إلى أسبوعين لتعبر حزام الأقمار المحيطة
بالمشتري .. والتي يتزايد عددها كل عام حتى بلغ العدد
سنة وثلاثين قمراً في العام الماضي . كانت هي جوائز
حرب الجاذبية بين المشتري والقمر .. الكويكبات التي
نجح المشتري في أن يستولى عليها لنفسه ، والتي
سيفقددها من جديد بعد مليون سنة .. فقط الأقمار
الملاصقة له هي التي ستظل من حقه للأبد .

لقد ظفر المشتري بفريسة جديدة هي السفينة الآن ،
وهي تتجه داخل مداره .. ترسل إشاراتها للأرض التي
صارت بعيدة جداً ، إلى حد أنه مع سرعة الضوء
فإن الإشارات تحتاج إلى ربع ساعة كي تصل .

كنوا الآن يمرون جوار القمر (أوروبا) الذي بدا ككرة
ثلج عملاقة ، والذي لم يُرَ على الأرض إلا ك رأس دبوس

بوساطة أقوى التلسكوبات . راحوا يجمعون عنه
سيلاً من المعلومات سوف يتم تحليلها فيما بعد .
كان يبدو مغطى بالثلج لكن الأرجح أنها بلورات من
الماء والأمونيا فشل المشتري في أن يظفر بها
لجاذبيته . ومن الغريب أنه قمر محاط بغلاف جوي
خفيف كما عرف العلماء من قديم .

كان الدنو من المشتري سريعاً إلى حد لا يوصف ،
وكان (هال) عاكفاً على دراسة المدار ، لكن كان
عسيراً على الرجلين أن يصدقا أنهما لن يرتطما
بالكوكب المرعب .. الذي يدخلان جاذبيته بسرعة
لا تصدق . هنا جاء وقت التخلص من مجسات
الطقس .. تلك المجسات التي يرجى أن تظل سالمة
لترسل معلومات عن نطاق الكوكب الجوي ، وكانا
جسمين أقرب إلى قنبلتين مغلفتين بواق حراري .

الآن نجح (هال) في تفادي غلاف الكوكب الجوي ،
وصار المشتري يملأ السماء كلها . كان عملاقاً إلى
حد أن البصر والعقل لا يقدران على استيعابه .

قال (هال) :

« إشارات الأرض تخفت .. نحن ندخل أول منطقة تشويش .. »

كانا يعرفان هذا ويتوقعانه طبعًا ، لكن القطاع الاتصال بالأرض للمرة الأولى ملأهما بالوحشة . كان أمامهما ساعة حتى يغادرا نطاق التشويش وهي أطول ساعة في حياتهما على الإطلاق .

كان الخطأ معناه كارثة .. لأن هذه أول رحلة من نوعها إلى هذه المسافة ، وبهذه السرعة ، ومع جانبية كوكب بهذه القوة .. لقد ذهبا في رحلات فضائية كثيرة لكن هذه الرحلة كانت غير مسبقة .

أخيرًا اتخذت (ديسكفري) مدارها حول الكوكب واستطاعا أن يريا الشمس من جديد ..

وتصافح الرجلان .. يمكن القول إن أولى مراحل الرحلة قد تمت بنجاح .

أما عن المجسسين اللذين أطلقاهما في الفضاء ، فهناك واحد لم يسمعوا عنه ثانية ، لأنه من الواضح أنه دخل منحني شديد الانحدار وأحرق نفسه في غلاف المشتري الجوي . أما الثاني فقد دخل المجال الجوي بنجاح عند الجانب المعاكس للشمس من الكوكب . وعلى (ديسكفري) التي تبعد ربع مليون ميل ، بدأت الأخبار الأولى عن المشتري ترد تباعا . كانت هناك مئات التفاصيل عن حالة الجو والضغط لا يمكن أن يفهمها إلا الخبراء على الأرض ، لكن كانت هناك رسالة واحدة يفهمها الجميع ، هي الصورة التلفزيونية للمشتري .

في البداية كان الضباب كثيفا وكان من الصعب أن ترى أبعد مائة متر ، حتى بدا أن المهمة فاشلة تماما . ثم تلاشى الضباب .. وكان المشهد غريبا جدًا بالنسبة لعيون اعتادت ألوان الأرض .. كان هناك بحر بلانهاية من اللون الذهبي بلاحركة .. وكان مستوى البحر عاليًا بحيث لا يمكن أن يكون محيطًا

فعلًا .. إنه طبقة أخرى من السحب على الأرجح .
ثم استطاعا أن يريا جبلاً عالياً يشبه القمع تحيط به
سحب صغيرة مستديرة .. كل المشهد كان عجيبيًا
غير طبيعي .. إن كانت كلمة (طبيعي) تصلح لوصف
هذه الباتورا العجيبة . فجأة اهتزت الصورة ثم
خبت .. إن هذا لمسافر الأرضي الأول لم يستطع مواصلة
المهمة وهوى تحت ثقل الطبقات الجوية من فوقه .

ربما أعطى في حياته القصيرة لمحة هي واحد على
مليون من المشتري ، ثم زالت صورته . لو كانت هناك
حياة تحت هذا الضباب فكم من الوقت تحتاج للعثور
عليها ، وكم قرناً سيمر إلى أن يتبع الإنسان تلك الرائد
الأول الذي انتهى أمره ؟ وفي أي نوع من السفن ؟

لكن الطاقم لم يبال كثيراً بهذه التفاصيل ، لأن
مهمتهم كانت مازالت بعيدة على بعد آلاف الأميال
في الفضاء الخالي ..

IV - الهاوية ..

١٧ - حفل عيد الميلاد ..

دوت النغمات المألوفة لأغنية (عيد ميلاد سعيد)
عبر سبعة ملايين ميل من الفضاء بسرعة الضوء ،
وماتت على شاشات غرفة التحكم . وتكلم مستر
(بول) الأب قائلاً :

- « حسن يا (فراك) .. لا أجد ما أقوله هذه اللحظة
إلا أن أفكرنا معك .. ونتمنى لك أسعد عيد ميلاد .. »
وتدخلت الأم دامعة :

- « خذ الحذر يا عزيزي .. يارك الله فيك .. »

وتلاشت الصورة ، وخطر لـ (بول) كم أنه من
الغريب أن هذا كله حدث منذ ساعة ، وأن الأسرة تفرقت
وانصرفت .. كان هذا يهدم بديهية يعتقدها الإنسان

هى أنه يستطيع الكلام فوراً مع من يريد ، لكن الآن
قد دخل بعداً جديداً ، ومطت كل الروابط العاطفية إلى
حد أنها أوشكت على التمزق .

هنا جاء صوت (هال) :

- « آسف لمقاطعة الحفل لكن لدى مشكلة فى الاتصال
بالأرض .. للمشكلة فى وحدة AE - 35 وتقارير التنبؤ
بالخطأ لدى تقول إنها قد تتوقف تماماً خلال 72 ساعة .. »

- « حسن .. قلنر ذلك .. »

وطلب الرجلان نسخة مطبوعة من التقارير لأنه
مهما تقدمت الإلكترونيات تظل المعلومة المكتوبة أقرب
لفهم . ودرس (باومان) التقارير بعض الوقت ثم صفر ..

- « معنى هذا أن علينا الخروج من السفينة لاستبدال
القطعة بوحدة أخرى .. »

قال (هال) :

- « أنا آسف .. حسبت أنكما تعرفان أن القطعة
AE - 35 مثبتة إلى الهوائى .. »

قال (بول) :

- « سأقوم بهذا العمل .. سيفيدنى تغيير المناظر
وليس فى هذا إساءة لك .. »

فقد كان هو المسئول عن النشاطات خارج السفينة
التي يختصرونها بلفظ EVA ..

- « فلنطلب المراقبة ونسألهم الإذن .. »

وبعد إرسال الرسالة كان عليهما الانتظار ساعتين
حتى يأتى الرد ..

- « إكم رأى دلنا 1 .. هنا التحكم فى المهمة ..
نحن نقدر 1-2-3 .. وسوف نقدم النصح .. روجر ..
خطتكم للذهاب EVA واستبدال ألفا إيكو 3-5 قبل
الفشل المحتمل .. تقديرنا .. ألفا .. 2 .. 3 »

أما وقد انتهى الكلام بـ (الإنجليزية التقنية) التي
كاتوا يطلقون ساخرين عليها Technish فقد عاد
الكلام للإنجليزية العادية :

« آسفون على المشاكل يا شياپ ، لكن الإعلام
يرغب فى أن تشرحوا ما يحدث .. بضع كلمات لا أكثر
لأن الجميع قلق هنا .. يمكننا القيام بالمهمة ، لكنها
ستكون أكثر إقناعاً لو جاءت منكم أنتم .. »

وابتسم (ياومان) لهذا الطلب .. هناك لحظات
تبدو فيها الأرض عديمة الإحساس بالمسئولية . على كل
حال كان الاهتمام الإعلامى بهم قد فتر كثيراً .. بعدما
كان يومهم مزدحماً بالمقابلات والأحاديث ..

وكان (بول) قد صبحا من النوم فجلس الرجلان
يعدان بياناً للصحافة يقول إن كل شىء على ما يرام ..
وأرسلاه إلى الأرض ..

★ ★ ★

كانت كبسولات العمل فى الفضاء مزودة بذراعين
أحدهما للأعمال الخشنة ، والآخر للأعمال الدقيقة .
بينما يجلس القائد خلف شاشة تريبه عمل الذراعين ،
وكانت تطلق على هذه الكبسولات أسماء نسائية

بسبب أن لكل منها طبيعة متقلبة لا يمكن التنبؤ بها ..
هنا فى (ديسكفرى) كانت الكبسولات تحمل أسماء
(أنا) و (كلارا) و (بيتى) ..

ارتدى (بول) ثياب الفضاء آخر خط دفاع لديه ،
وتأكد من الأكسجين والوقود والكهرباء . كانت هذه
الكبسولة هى (بيتى) .. وأصدر التعليمات لـ (هال)
كى يبدأ ضخ الهواء من غرفة الضغط .. وسمع
(بول) صوت المعدن الرقيق يقع ويتثنى ..

ببطء انفتحت جدران السفينة وشعر (بول) بالكبسولة
تهتز بينما آخر بقايا الهواء تخرج للفضاء .. ثم
صارت الكبسولة معلقة بقضيب خارج السفينة ..
وكان يرى بوضوح محيط المشتري الذهبى ..

تحررت الكبسولة فتحولت إلى سفينة مستقلة
تبحث عن مدارها الخاص .. لم يعد هناك ما يربطها
إلى (ديسكفرى) ..

دار بالكبسولة ذات المحركات النفثة حول السفينة .

ولمح جزءاً من جسم السفينة وقد أدته ذرات الغبار
التي كانت تضربه طيلة الرحلة ، فبدأ كأنما حدث
انفجار من داخل السفينة في هذا الجزء .. في هذه
السرعات الكونية يصير علم الميكانيكا الذي نعرفه
غريباً .. لا شيء يتصرف كما عهدناه ..

رئس هذا الجزء بمادة لاصقة تزيد من صلابة
المعدن وتحمله .. ثم عاود الحركة ببطء حول
السفينة .. كان حريصاً على ألا يزيد السرعة لأنه
يجازف بالارتطام بالسفينة الأم من هذه المسافة
القريبة ..

أخيراً وصل إلى الهوائي الذي كان يواجه الشمس ..
كان في ظلام دامس مما دعاه إلى أن يضئ الكشافات ..
عند قاعدة الهوائي وجد أربعة مسامير تثبت القطعة ..

كان من الواضح أنه لن يستطيع فكها وهو في
الكبسولة ، لأنه يجازف بالاحتكاك بالسفينة .. ثم إن
محركات بيتي قد تحرق المرأة الرقيقة العاكسة

لأمواج الراديو . عليه أن يترك (بيتي) ويخرج منها
ببذلة الفضاء .. سيكون فك المسامير أسهل بيديه ..

أبلغ خطته لـ (باومان) الذي راجعها بدقة .. كان
عملاً سهلاً ، لكن في الفضاء الخارجي لا يوجد شيء
متوقع .. ولا يوجد شيء اسمه (هفوة بسيطة) ..

قبل مغادرة الكبسولة نقل التحكم إلى (هال) ، ثم
أخرج الهواء ... تلاشى الهواء في الفضاء ، فتكونت
طبقة بلورية ثلجية على يئلته .. كان يعرف أن الكبسولة
ستبقى في مكانها ولنسوف يظل متصلاً بها بحبل
نجاة ، لكنه كان يخشى أن يتم مهمته ثم يبحث عنها
فلا يجدها .. هذه مسئولية (هال) من الآن فصاعداً .

ثم إنه بدأ يعالج الهوائي بيديه .. وبالأدوات المثبتة
إلى حزامه .. كانت المشكلة هي أن ظله يغمر الوحدة
لذا أمر (هال) بأن يحرك الضوء إلى اليسار قليلاً .
وغمغم في سره متهمكماً : « العبث في الجهاز عن
طريق شخص غير متخصص يلغى فترة الضمان »
وبدأ يفك المسامير .. لقد تنبأ أحد الفنيين يوماً بأن

الأرض ستكون لها حلقة تحيط بها مثل (زحل) بسبب
كل المسامير والصواميل المتساقطة من سفن الفضاء .
- « هال .. أنا سأفصل الوحدة الآن .. اقطع كل
الاتصالات بالهوائى .. »

- « تم قطع الاتصال .. »

وسرعان ما تم تركيب قطعة الغيار . ثم أمر (هال)
بأن يعيد الكهرباء ويجرى اختبارات الخطأ . كان
من العسير دوماً فهم كيف تفشل إلكترونيات الحالة
الصلبة ، لكن هذا كان يحدث .

بعد عشر ثوان جاء صوت (هال) :

- « الوحدة تعمل بكفاءة .. »

فى هذا الوقت الوجيز كان قد أجرى من الاختبارات
ما يقوم به جيش من الخبراء .

وبعد ربع ساعة عاد (بول) إلى الكبسولة مطمئناً
إلى أن هذا عمل لن ينجز مرة أخرى .. وكان فى هذا
الصدد مخطئاً بشكل محزن .

★ ★ ★



ثم إنه بدأ يعالج الهوائى بيديه .. وبالادوات المثبتة إلى
حزامه ..

١٨ - التشخيص ..

قال (بول) :

- « هل تريد القول إننى قمت بهذا العمل كله بلا طائل ؟ »

أجاب (باومان) :

- « : يبدو هذا .. هذه الوحدة تعمل بكفاءة .. لا يوجد من سبب للتنبؤ بالخطأ .. »

كانت الوحدة التالفة على المنضدة تحت عدسة مكبرة كبيرة .. وكانت مربوطة بجهاز كمبيوتر يجرى عليها مئات الاختبارات ليظهر مكان العطل على شاشته . وكانت نتيجة الفحص أن الوحدة بحالة طيبة .

- « وماذا تستنتج من هذا ؟ »

- « الخطأ من (هال) وليس الوحدة ..

وعلى كل حال كنا قد استبدلنا الوحدة ، وسيكون القلق من نصيب شخص آخر حين يعودان إلى الأرض .. لكن القلق عاد مع الاتصال الثانى من الأرض :

- « لا يوجد احتمال إلا أن الكمبيوتر الخاص بكم ارتكب خطأ .. لا يوجد سبب للقلق ، لكننا نرى أن تراقبوا أدائه بعناية . أكرر .. لا داعى للقلق .. أسوأ ما يمكن حدوثه هو أن نفصل الكمبيوتر لإعادة دراسة البرنامج . انتهى الاتصال »

انتظر (بول) أن يرد (هال) لكن الكمبيوتر لم يحاول أن يدفع الاتهامات عن نفسه ..

جلس (باومان) مع (بول) يناقشان رسالة الأرض .. كنا يعرفان أن (هال) يسمع كل كلمة ويفهمها ، لكنهما كنا مضطرين للكلام عنه بلياقة .. إن (هال) زميل وليس من المستحب مضايقته ..

عليهما الانتظار حتى التقرير التالى من مراقبة المهمة ..
وراحا يتساءلان إن كان (هال) سيفتح الموضوع
بنفسه أم لا .. لقد تغير الجو فى السفينة .. ثمة جو من
التوتر وأنه - للمرة الأولى - قد يكون هناك خطأ ما ..
لم تعد (ديسكفرى) سفينة سعيدة ..

★ ★ ★

فى الآونة الأخيرة ، صار من السهل معرفة متى
سيبدأ (هال) الكلام من تلقاء نفسه .. فقبل أن يبدأ
فى إبداء آرائه الخاصة كنت تسمع نحنحة إلكترونية
قصيرة .. من الغريب أنه اكتسب هذه العادة فى
الأسابيع الماضية ثم إنها صارت مزعجة بالفعل .
لكنها كانت مفيدة .. توجه المستمعين إلى أنه سيقول
شيئاً لا يتوقعونه .

كان (بول) نائماً و (باومان) يقرأ فى غرفة
التحكم ، حين أعلن (هال) :

- « احمم .. (ديف) .. عندى تقرير لك . »

- « ماذا لديك ؟ »

- « لدينا مشكلة أخرى مع الوحدة AE-35 .. أتوقع
تلفاً خلال 72 ساعة .. »

وضع (باومان) الكتاب الذى فى يده ونظر إلى
العنسة الكبيرة التى تتوسط مفاتيح التحكم .. كانت هذه
مجرد عادة نفسية لأن (هال) فى الواقع لم يكن هناك ..

- « لا اصدق هذا يا (هال) .. لا يمكن أن تتلف
وحدتان فى يوم واحد .. »

- « أنا أيضاً مندهش يا (ديف) ، لكن هذه الحقيقة .. »

- « لكنك قلت لنا الشئ ذاته عن الوحدة السابقة .. »

- « أنا متأكد مما أقول .. لو لم تكن الوحدة تالفة
فلربما كان النظام الفرعى كله .. أو ربما كان
نظامكم فى التشخيص »

- « وما هو سبب التلف ؟ »

- « ليس من مهامى التشخيص .. »

- « كلنا نرتكب الأخطاء يا (هال) .. »

- « ارتكب الأخطاء أمر أعجز عنه يا (ديف) .. »

بعد قليل جاءت صورة مدير المشروع ذاته على الشاشات ، وكان هذا نادراً .. أدرك رائدا الفضاء على الفور أن هذا معناه المتاعب ..

قال المدير :

- « بالفعل بعد بلاغكم الثاى ، قمنا بإجراء تحليل للوضع ومن الواضح أن العيب ليس فى الوحدة لكنه فى (هال) .. هذا يعنى أن علينا مراجعة برنامجها الذى يحوى خطأ ما .. سنقوم بفصله عن التحكم ، وتقوم حاسبات الأرض بتولى العملية ابتداء من الساعة 1200 .. أعرف أن تأخر وصول الموجات قد يسبب ربكة ، لكنكم فى مرحلة لا يؤثر فيها بطء التحكم .. »

هنا دوى صوت (هال) :

- « الحالة صفراء .. الحالة صفراء ! »

نظر (باومان) فى عدم فهم متسائلاً ، فجاء صوت (هال) :

- « الوحدة AE-35 قد توقفت تملأ كما توقعت .. »

هنا فقط وجد الرجلان أن صورة الأرض لم تعد ظاهرة على الشاشة .. لقد تحرك الهوائى فى اتجاه آخر .. أى أن الاتصال بالأرض انقطع . هوى (بول) بقبضته على منضدة التحكم ليخرس صوت الإنذار .. ووقف الرجلان يتبادلان النظرات القلقة فى الصمت الذى خيم على المكان ..

قال (باومان) :

- « إذن كان (هال) على حق طينة الوقت .. »

هنا عاد صوت (هال) :

- « ترى هل استعدتم ثقتكم بى ؟ »

- « بالتأكيد يا (هال) .. »

كان الرجلان يخشيان تركيب الوحدة الاحتياطية الثالثة .. قبل أن يعرفا ما هو الخطأ بالضبط ، وإلا احترقت بدورها .. هذا مفهوم حتى على مستوى

البيت .. أنت لا تغير المنصهر المحترق قبل أن تفهم
ما هو الخطأ في الكهرباء ..

ومن جديد أعاد (بول) فحص (بيتى) ثم أمر
(هال) بأن يفتح لها الباب ..

كان كل شيء يماثل ما رآه في المرة الأولى ،
إلا أن الهوائى لم يكن يتجه إلى الأرض كما هو
مفترض ، بل كان يتجه في اتجاه غير مألوف
نحو (زحل) الذى ما زال على بعد آلاف الأميال ..
وتساءل (بول) عما قد يحدث من مشاكل جديدة
لو أنهما نجحا فى بلوغ (زحل) ..

قال (بول) :

- « (هال) .. أدر الضوء عشرين درجة لليسار

كى أرى .. »

هناق جرس إنذار فى عقل (بلومان) .. كان هناك
شيء ما غير معتاد .. ليس مرعباً لكنه غريب .. ثم
فهم السبب ..

لقد قام (هال) بالعمل لكنه لم يعلن ذلك كعادته ..
كان دائماً يعلن أنه نفذ الأمر ..

كان (بول) مشغولاً فى فك المسامير ، وفى النهاية
انتزع الوحدة ولوح بها فى وجه الكون صائحاً :

- « ها هو ذا الوغد الصغير ! »

فجأة تحرك شيء ما لفت نظره فى هذه البقعة التى
لا حياة فيها .. نظر إلى ما تحرك فوجد أن كشافات
كبسولة الفضاء قد تحركت مبتعدة .. وهنا وبعاطفة
أقرب للدهشة منها إلى الخوف ، وجد أن كبسولة
الفضاء (بيتى) تندفع نحوه بسرعة لا تصدق ..

شله الرعب ففقد التحكم فى انعكاساته .. فى اللحظة
الآخيرة صاح :

- « (هال) .. فرملة كاملة !! »

وكان هذا متأخراً جداً ..

حتى فى الفضاء وبهذه السرعة البطيئة يمكن
للارتطام بالكبسولة أن يكون قاتلاً ..

وسمع (باومان) الصرخة من الراديو فهب من مكانه يصرخ :

« ماذا هناك يا (فرانك) ؟ »

لا إجابة ..

رأى شيئاً ما يتحرك عبر النافذة الكبرى .. كانت هذه (بيتى) تتحرك بأسرع طاقة لديها متجهة بعيداً نحو النجوم ..

« (هال) ! ماذا يجرى ؟ فرملة كاملة على (بيتى) ! »

لكن الكبسولة واصلت رحلتها ، ومن خلفها كانت تجر شيئاً .. لم يكن ممكناً أن يخطئ بذلة فضاء (بول) وقد فرغت من الضغط فتحولت إلى فراغ من الداخل ..

ظل ينادى فى رعب كأنما يوسعه أن يوقظ الموتى :

« (فرانك) .. هل تسمعنى ؟؟ هل تسمعنى ؟

حرك ذراعيك كى أراك .. »

هنا حرك (بول) ذراعه ..

تجمد (باومان) هلعاً .. من المستحيل أن يظل (فرانك بول) حياً بعد كل هذا ، لكنه بالفعل حرك ذراعه ..

ثم عاد له المنطق .. ليس هذا سوى أثر السرعة .. (بيتى) تجر الجثة سريعاً فتتحرك الذراعان ، مثلما كان القبطان (أهاب) فى قصة (موبى ديك) حين علقت جثته على الحوت ..

وخطر له فى هذه اللحظة أن (بول) ربما رأى كوكب (زحل) قبله ..

- « هذا محزن بخصوص (فرانك) .. أليس كذلك ؟ »

- « بلى .. »

- « أراهن على أنك منهار بسببه .. »

- « ماذا تتوقع ؟ »

لم يكن قد ابتلع بعد فكرة أن (فرانك) قد قتل عمداً .. هل كان هذا حادثاً ؟ خلافاً آخر من برنامج (هال) ؟ هل قتل (هال) الرجل ؟ لا مجال لهذا الاعتقاد ، لكن عليه أن يفكر فيه .. لأنه لو كان حقيقياً فمضى هذا أنه في خطر داهم .. كما كان يعرف أن التعليمات تقضى بأن عليه في حالة هلاك رفيقه أن يوقظ واحداً من النائمين : (وايتهيد) الجيولوجي .. ثم (كامينسكى) ثم (هنتر) .. و(هال) هو المسئول عن إيقاظ هؤلاء ..

قال بصوت ثابت :

- « (هال) .. أريد التحكم اليدوي في السيات ..

كل الوحدات .. »

١٩ - حوار مع هال ..

لم يتغير شيء على ظهر (ديسكفري) ..

ظلت الأجهزة تعمل بنظام ، والطرء المركزى يؤدي عمله فى مقاومة الجاذبية ، والنائمون نائمون فى سلام فى قمراتهم ، والسفينة تتجه فى ثبات إلى هدفها .

لا يذكر (ياومان) متى غادر غرفة التحكم ، لكنه أفاق فجأة ، ليجد أنه جالس ونصف قدح من القهوة الباردة فى يده .. كأنه رجل أفاق فجأة من كابوس .

أمامه كانت واحدة من عدسات عين السمكة التى يراقب بها (هال) كل شيء على السفينة . وكأما رآها (ياومان) لأول مرة مشى نحوها . هنا تكلم (هال) :

- « كلها يا (ديف) ؟ »

- « كلها .. »

- « هل لى أن أذكرك أن المسموح لك به هو واحد فقط ؟ الآخرين لن ينهضوا قبل مائة واثنى عشر يوماً .. »

- « أعرف هذا .. »

- « هل من الضروري هذا يا (ديف) ؟ لا تنس أنني قادر على قيادة السفينة بالكامل .. »

للمرة الأولى يناقش (هال) التعليمات .. ما فات يمكن اعتباره خطأ إلكترونيًا .. لكننا الآن بصدد تمرد .. كان كل هذا يحمل طابع اللاواقعية المميزة للكوابيس ..

- « هال .. نفذ ما أقول .. من فضلك .. »

- « أشعر من تحليل صوتك أنك متوتر يا (ديف) .. يمكنك أن تأخذ بعض حبوب التوتر وتنام قليلاً .. »

- « أنا المسئول عن هذه السفينة وأمرك بالتنفيذ .. »

- « معذرة .. لكن القانون ينص على أنه فى حالة عدم كفاءة الطاقم يجب أن يتولى الكمبيوتر القيادة ، وأنا أرى أنك فى حال لا تصلح للقيادة .. »

- « إذن سأكون مسئولاً عن فصلك والتحكم فى السفينة بنفسى .. »

- « سيكون هذا خطأ .. أنا قادر تمامًا على السيطرة على كل تفاصيل السفينة وقيادتها .. ثم إننى متحمس للمهمة راغب فى إنجازها .. »

لكن (هال) خضع أخيراً وقام بتحويل وحدة التحكم من (أوتوماتيكى) إلى (يدوى) ..

دخل (باومان) إلى حيث يرقد (وايتهد) .. لم يكن المكان بارداً جداً لكنه ارتجف ..

لم يكن فى وجه الرجل ما يوحي بحياة .. ربما بعض انقباضات للحجاب الحاجز تراها على الشاشة ولا تراها بعينيك ، ثم لاحظ أن العلامة الوحيدة على

الحياة هي أن العالم النائم قد تكونت له حياة خفيفة في الشهر الذي قضاه نائماً . كل ما على (باومان) هو أن يبدأ التشغيل اليدوي وسوف يعمل برنامج بنفس بساطة ذلك الذي يتحكم في عمليات الشطف في آلة غسالة أوتوماتيكية ، ليحقق الأدوية اللازمة لاستعادة حرارة الجسم ..

بعد عشر دقائق يسترد العالم وعيه ، ولكنه يحتاج إلى يوم كي يستعيد قواه ..

هنا حدث شينان لا يمكن للشخص العادي أن يشعر بهما ، لكن (باومان) بعد كل هذه الفترة على (ديسكفري) صار قادراً على الشعور بهما ..

أولاً : تراقصت الأضواء لحظياً كأنما حمل قد وضع على الدوائر الكهربائية ، ثانياً : سمع صوت هدير أحد موتورات الكهرباء على السفينة .. إما أنه جن وإما أن هناك شيئاً مستحيلاً يحدث ..

وشعر ببرد يغمره أقسى من برد الغرفة ..

إن الأبواب العازلة للضغط تنفتح ..

* * *

٢٠ - أريد أن أعرف ..

كان (هال) يخفى سرّاً .. السر الحقيقي وراء هذه الرحلة والذي لم يعرفه سواه وثلاثة العلماء النائمين . كان هؤلاء العلماء هم الحمولة الصافية لـ (ديسكفري) . تم تدريبهم على أخطر مهمة في تاريخ البشرية . لكنهم لن يتكلموا عن مهمتهم هذه طوال ساعات السبات الطويلة .

كان سرّاً لا تستطيع إخفاءه مهما حاولت .. سرّاً يؤثر في سلوكك وصوتك ونظرتك للعالم . ولهذا تم اختيار (باومان) و(بول) للتعامل مع العالم الخارجي والظهور على شاشات البث ، لأنهما لا يعرفان السر حالياً .

لكن (هال) كان يتعذب ، وكانت نواتره تعاني .. بين الإخفاء والرغبة في إنهاء الإخفاء . لقد بدأ يرتكب أخطاء لكنه كمرضى العصاب ظل ينكر هذا . ليست هذه

المشكلة الوحيدة فهو قادر على مواجهتها كما يستطيع
البشر مواجهة العصاب .. لكنه الآن صار مهدداً بأن
يوقف .. أن يتحول إلى كومة من اللاوعي .

بالنسبة لـ (هال) كان معنى هذا الموت .. فهو لم
ينم قط ، ولا يصدق أن بوسع المرء أن يصحو ثانية .
لن يترك أحداً يفعل به هذا .. سيقاوم بلا رحمة ، ثم
يوصل المهمة التي كلف بها .. وحيداً ..

★ ★ ★

بعد لحظة دوى زئير عال كأنه إعصار يقترب ،
ووجد (باومان) أن الهواء يوشك أن يعصف به ..
إن الهواء يفر من السفينة .. برغم أنه من
المستحيل أن يفتح باباً غرفة قفل الضغط في اللحظة
ذاتها .. حسن .. لقد حدث المستحيل ..

كان كل شيء يهتز من حوله ، وراح كل شيء
يطير .. الأوراق .. الآلات .. وقدر أن أمامه بضع
ثوان يفقد فيها وعيه .. اهتزت الأضواء ثم انطفأت ،
وبعد لحظة بدأ مولد الطوراني يعمل ..

لقد صار التنفس عسيراً .. لابد أن الضغط انخفض
إلى رطل أو اثنين لكل بوصة .. لقد انخفض الصقيع
لأن الهواء قد قل ولم يعد يحمل الصوت .. رثائه
تناضلان كأنما هو على قمة (إفرست) ..

كم من الوقت يستطيع البقاء في جو مفرع ؟
يستطيع الاحتفاظ بوعيه خمس عشرة ثانية ، ويمكن
أن يظل حياً لو تم إعادة الضغط لسوائل جسده
بطريقة منظمة .. إن أطول فترة تحمل فيها إنسان
التفريغ كانت خمس دقائق .. صحيح إنه أصيب
بجلطة مخية نتيجة لسدة هوائية ، إلا أنه عاش ..

عليه أن يجد مكاناً آمناً معزول الضغط حالاً ..
أخيراً وجد مخبأ الأمان ففتح الباب .. ولربيع ثانية
أصابه الرعب لأنه حسبه موصداً .. لكنه انفتح فألقى
بجسمه وسط الهواء شبه المدوم إلى الداخل ..
أغلق الباب عليه ، وكانت هناك رافعة في السقف ،
فمد يده وجذبها ..
تدفق الأكسجين المبارك على رثتيه .. ولوقت طويل

وقف يشهق بينما الضغط يتزايد من حوله ، ثم أغلق الصمام حتى لا ينفد الغاز .

ساد الصمت ، وشعر بأن أصوات السفينة توقفت كذلك .. لقد تعادل الضغط بين الداخل والخارج وكفت الأجسام عن الطيران .. الآن كان يعرف ما عليه أن يفعل ، فالهواء لن يكفي أكثر من ساعة ..

كانت هناك بذلة فضاء ارتداها ، ثم خرج من المخبأ .. كانت هناك إضاءة ، وقد اتجه على هديها إلى قمرات السبات كي يرى ما يخشاه ..

كان أول من فحصه هو (وايتهيد) .. وهنا فهم أنه كان مخطئا حين حسب السبات شبيها بالموت .. كلا .. كان هناك فارق كبير بين الحالتين ، والآن يعرف أن (وايتهيد) لم يعد في سبات ..

نفس الشيء مع (كامينسكى) و(هنتر) .. لم يعرفهم قط جيدا ولن يعرفهم أبدا بعد الآن ..

إنه وحيد في سفينة بلا هواء .. شبه معطلة .. كل الاتصالات بالأرض مقطوعة .. لا يوجد بشرى على مسافة نصف مليون ميل ..

لكنه برغم هذا ليس وحيدا تماما ، وعليه إذا أراد النجاة أن يظفر بالوحدة الحقيقية ..

مشى وسط الهواء المفرغ قاصدا وحدة التحكم المنطقى للسفينة .. كان المشى صعبا والأرض مليئة بأجسام مبعثرة .. أخيرا وصل إلى باب الوحدة الذى لم يره إلا بينما كانت السفينة تحت التصميم ..

لهذا نسى أن هناك عيناً إلكترونية تراقب الباب ، وشعرت به مجسات الحركة على الفور فجاء صوت (هال) يقول :

- « حدث شيء لنظام السلامة الخاص بنا يا (ديف) .. »

لم يرد (باومان) .. كان يعرف أن ما عليه القيام به صعب .. فهناك ستة نظم كهرباء منفصلة مدعمة بوحدة نظائر مشعة مغلقة بطبقة واقية . كلا .. ليس الأمر بسهولة أن (يشد القابس) .. إن (هال) هو الجهاز العصبى للسفينة ، وتدميره يعنى أن تتحول إلى حطام ..

لا بد من تدمير مراكز الذكاء العليا ، والإبقاء على
الجهاز العصبى التلقائى الذى يحفظ على السفينة
سلامتها .

لم أتخيل قط أن أتحول إلى جراح مخ هاو ، يجرى
جراحة فى مدار المشتري .

مد يده إلى وحدة (التلقيم الرجعى المعرفى)
وانترعها .. فقال (هال) :

« هيه .. (ديف) .. ماذا تحاول عمله ؟ »

ثم راح ينزع دوائر لوحة (تدعيم الذاتية) ..
وسرعان ما راحت القطع تحلق فى الفراغ ، لكن
كانت هناك وفرة فى البدائل الكثيرة لهذا العقل ..
وهى خاصية تحاكي المخ البشرى . هكذا ظل (هال)
متماسكاً .

- « (ديف) .. لا أفهم لماذا تفعل هذا بى ؟ إننى أملك
حماساً هائلاً للمهمة وأنت تدمرنى .. هكذا سأصير طفلاً ..
سأصير لا شىء .. إن المطر فى أسبانيا يهطل فى



ثم راح ينزع دوائر لوحة (تدعيم الذاتية) .. وسرعان ما
راحت القطع تحلق فى الفراغ ..

السهول أساساً .. وثب الثعلب على الكلب الكسول ..
هل تعرف أن لو غاريتم 10 هو 0,16227766016383 ؟
أول من قام بتركيبى هو د. (شاندور) وقد علمنى أن
أغنى قاللاً : (ديزى) .. (ديزى) .. ردى على ..
أنا شبه مجنون بحبك ..

الآن صار الكلام أبطأ :

— « صباح .. الخير .. يا .. دكتور أنا
..... (هال) مستعد .. للدرس الأول »

كان هذا قاسياً .. إن (باومان) يدمر آخر كائن
عاقِل فى دنياه .. الأمر لا يحتمل .. لكنه انتزع آخر
دائرة وسرعان ما ساد الصمت ..

* * *

٢١ - وحي ..

كسفينة غارقة طفت السفينة وحدها بلا أثر للحياة ..
ومن حولها دائرة من قصاصات الورق ورقائق المعدن
والخردة .. هذا هو ما يبدو من السفن الغارقة ، لكن
فى الفضاء لا تغرق السفن .. إنها تطفو فى مدارها
للأبد ..

بعد نصف ساعة خرجت ثلاثة أجسام كنيية ملفوفة
فى المعدن .. وسرعان ما حلقت فى الفضاء مبتعدة ،
وبعدها خرجت كبسولة الفضاء ، واتجهت نحو الهوائى
لتقوم بإصلاحه .. ودار الهوائى ليواجه الأرض كأنه
زهرة دوار الشمس ترى الشمس أمامها ..

ثم اتغلقت أبواب قفل الهواء .. وعادت الأنوار إلى
النافذة .. إن (ديسكفرى) تعود إلى الحياة ..

وبالداخل راح (باومان) يخاطب الأرض .. يحتاج

إلى ساعة حتى تذهب كلماته إلى هناك ، وساعة أخرى كي يتلقى الرد . من الصعب تخمين ما يمكن أن نقوله الأرض فيما عدا عبارة : الوداع ..

* * *

كان د. (فلويد) يحاول التماسك وأن يبذل ما يستطيع للرجل الوحيد في الفضاء :

- « نهنتك على الطريقة الحكيمة التي تصرف بها .. ونعتقد أننا نعرف سبب انهيار أعصاب (هال) .. لكننا سنناقش هذا فيما بعد .. المهم الآن أن نساعدك على إتمام مهمتك .. »

- « الآن بوسعي أن أخبرك بهدفنا .. الهدف الحقيقي الذي أخفيناه عن الرأي العام .. كل ما ساقوله لك يتطلب أقصى درجة من السرية .. »

- « منذ فترة وجدنا في فوهة القمر (تاكو) هذا الجسم الصلب الأسود الذي جعلنا نعتقد أن هناك حياة خارج الأرض .. »

- « أغرب شيء بخصوص هذا الجسم هو قدمه .. عمره بلا شك ثلاثة ملايين سنة .. والأغرب أنه مشع بعد كل هذا الزمن الذي كان يفترض بعده أن يكون خامداً .. لقد تمكنت مجساتنا الفضائية من تتبع الإشعاع ووجدناه يتجه نحو كوكب (زحل) .. »

- « لكن لماذا ؟ لماذا يدفن جسم مشع يستمد طاقته من الشمس على عمق ثلاثين قدماً ؟ حاولنا الفهم ، لكننا نعرف أنه من المستحيل فهم كائنات تسبقنا في التقدم بثلاثة ملايين سنة .. »

- « أسهل النظريات وأكثرها خطورة هو أن من دفن هذا الجسم الذي يشع حين يتعرض للشمس ، كان يريد أن يعرف بدقة اللحظة التي نخرجه فيها .. أي أنه نوع من الإنذار وقد قمنا نحن بتشغيله .. »

- « لا ندرى إن كانت تلك الحضارة موجودة ، لكننا نفترض أن حضارة صنعت آلات تعيش ثلاثة ملايين سنة هي حضارة قلادة على البقاء .. وبالمثل نفترض

أنهم معادون لنا حتى يثبت العكس .. إن كل حضارة بدائية على كوكبنا لم تصمد على لقاءها الأول مع حضارات أعلى منها .. وهذا ما يسميه العلماء (صدمة حضارية) ، ويبدو أن علينا أن نمهد الجنس البشرى لصدمة مماثلة .

« سنحاول أن نرتب لك برنامجًا مختصرًا .. فمهمتك وقد هلك الباقون أن تستكشف احتمالات مجموعتنا الشمسية ، وخاصة القمر التابع الثامن لزحل المسمى (جابيتوس) ، والذي يتألق بأضواء غريبة من ثلاثمائة سنة ، لكننا بغباء لم نفهم معناها .. هذا هو هدف رحلتك .. هناك ما يؤكد لنا أن الجسم الغامض جاء من هذا القمر ، لانعرف ما ستلقاه هناك .. لانعرف ما إذا كنت على أقمار (زحل) ستقابل قوى خيرة أو شريرة .. أو خرائب أقدم من خرائب (طروادة) .. »

* * *

٧ - أقمار زحل

٢٢ - البقاء حيًا ..

العمل هو خير علاج لأية صدمة .. وقد كان على عاتق (باومان) الكثير من العمل ، كان الكثير من الأكسجين قد فقد لكن ما بقي كان يكفي رجلاً وحده .. الأرض ستتولى عملية ضبط الحرارة والضغط بدلًا من (هال) .. ربما لو اقتصد المؤمن يمكنه أن يبقى متيقظًا بلا حاجة إلى السبات حتى تصل النجدة ، لكن السؤال لم يكن هل يستطيع البقاء متيقظًا جسديًا .. كانت المشكلة نفسية ..

راح يدرس كل الأقلام والصور التي أرسلتها الأرض عن TMA-1 .. ويداله أنه من الممكن أن يعيش حتى تصل (ديسكفري) إلى (زحل) .. وهو ما كانت ستقوم به على كل حال سواء كان حيًا أو ميتًا ..

إن زحل كوكب معاد .. ربما أكثر من المشتري ،
وأقماره العديدة متجمدة ثلاثمائة درجة تحت
الصفر .. فقط قمر واحد هو (تيتان) له ما يشبه
الغلاف الجوى ، وهذا كان طبقة من الميثان السام ..

ربما كانت المخلوقات التى زرعت الجسم على القمر
من خارج المجموعة الشمسية ذاتها .. زوار من
النجوم .. وهذا يجعل الأمر مستحيلاً .. إن (ديسكفرى)
التى هى أسرع سفينة شيدها الإنسان تحتاج إلى 20 ألف
سنة كي تبلغ كوكبة القنطورس أقرب المجاميع
الشمسية .. وحتى لو تطورت وسائل الدفع إلى حد
لا يصدق تظل أقصى سرعة يمكن أن يصل إليها
الجسم المادى ويحتفظ بماديته هى سرعة الضوء ..
لكن علماء كثيرين يحتجون بأن نظرية النسبية
ممتازة إلا أن بها ثغرات .. وحتى لو كان (آينشتاين)
غير قابل للهزيمة فإنه قابل لمراوغته ..

لهذا راح بعض العلماء يتحدثون عن طرق مختصرة
فى الفضاء ، وبوابات تقود لأبعاد أخرى ..

★ ★ ★

بدأ (باومان) فى الثلاثة أشهر التالية يتكيف على
الوحدة ، حتى إنه وجد من العسير أن يتذكر أى
شئ آخر . كان يشعر بأنه سفير خارق للعادة لم
يسبق له مثيل فى الحياة ..

لكنه بدأ يلاحظ تغيرات فى سلوكه لا بد أن نتوقعها ..
لم يعد يطيق الصمت إلا فى أثناء النوم .. كان يرفع
صوت مكبرات السفينة إلى درجة مؤلمة ..

استمع إلى الكثير من محتويات المكتبة السمعية ثم
اتجه إلى فن الأوبرا .. بالذات الألمانية والإيطالية
التى لا يفهم معناها فلا تشتت تفكيره .. ثم انتقل إلى
سماع الموسيقى الكلاسية .. وقد وجد السلام مع
موتسارت وباخ ..

وهكذا مضت السفينة نحو كوكب زحل ، تنبعث
منها موسيقا (باخ) .. الفكر المتجمد لمخ صار
ترباً منذ مائتى عام .

كان (زحل) للوهلة الأولى يبدو مثل المشتري ..

لكن مع التدقيق تدرك أنه منبعج إلى درجة التشوه ،
كما أن الحلقات المحيطة به كانت تجذب عينيك عن
الكوكب ذاته .. كانت كونا في حد ذاته .. بين الحلقة
الكبرى والصغرى فجوة .. لكن هناك نحو خمسين فجوة
أخرى حيث توجد اختلافات واضحة في الهالة المحيطة
بالكوكب . كأنها لعبة رائعة الجمال هشة يمكنك
الإعجاب بها لكن ممنوع لمسها . أنها بقايا قمر مر
جوار زحل ودمرته جاذبيته .. والجنس البشرى محظوظ
إذ رأى هذه الظاهرة التي لن تدوم إلا ملايين السنين ..
أي لحظة بصر في عمر الكون . من الغريب أن
نلاحظ الصدفة التي جعلت هذه الحلقات تولد مع
الجنس البشرى في وقت واحد .

الآن كانت (ديسكفري) تتورق في مدارات حول الكوكب
ومرت بأقماره : (جابيتوس) و (تيتان) و (ربا)
(ديون) و (تيثيوس) و (جاتوس) .. ويبلغ
بعض الأقمار حجما مروعاً .. إن (تيتان) وحده
يمثل في قطره الكوكب (عطارد) ..

وإذ راح (باومان) يتفحص الحلقات بالتلسكوب ،
لاحظ أن أكثرها تلجى .. كأنما هو يجتاز عاصفة
جليدية تتوهج عليها الشمس . لقد بدأ التشوش وانقطع
الاتصال بالأرض من جديد . لكن (باومان) لن يلاحظ
هذا لأنه مشغول بنظام فرملة السفينة التي برمجتها
الحاسبات الآلية على الأرض .. وراحت النفاثات تعمل ،
فتوهجت سحب الأمونيا والميثان بضوء لم تره منذ
الخلقة كأنما هي شمس تهبط عليها من غلافها للجوى .
على (ديسكفري) أن تتم لقاءها مع القمر
(جابيتوس) بعد أسبوعين وإلا ضاعت الفرصة للأبد ،
وذهب كل منهما في مدارين لن يلتقيا إلا بعد سنوات ..
وكان (باومان) يعرف جيداً أنه لن يكون موجوداً
حين يتم هذا اللقاء الثاني ..

٢٣ - عيون جابيتوس ..

الآن كان القمر يتحرك فى مداره فى ضوء النهار الكامل ..

وإذ دنت منه (ديسكفرى) ، بدأ (باومان) يشعر بوسواس مزعج . لم ينكره قط فى محادثاته مع مراقبة المهمة .. لأنهم سيعتقدون أنه بدأ يخرف . كان يشعر بأن للقمر عيناً تنظر له وهو يقترب .. عين بلا بؤبؤ ..

كان القمر الآن فى ضعف حجم القمر كما نراه على الأرض . وللمرة الأخيرة قامت الذرات المحتضرة فى المحركات بعملها .. هذا الصوت أشعر (ديف) بمزيج من الفخر والحزن .. لقد قامت المحركات بمهمتها كاملة وحملت الإنسان من الأرض إلى (زحل) .. لكن هذه آخر مرة تعمل فيها . لسوف تتحول (ديسكفرى) إلى جسم لا حياة فيه سجين

الجاذبية كأي شهاب أو نيزك . حتى لو جاءت النجدة فلن يكون اقتصادياً أن يعاد ملء الخزانات .. ستظل (ديسكفرى) للأبد معلماً أثرياً يذكر الناس بأيام غزو الفضاء الأولى .

لقد صار (جابيتوس) على بعد خمسين ميلاً ، وتحول من ظاهرة فلكية إلى أرض حقيقية يمكن الهبوط فوقها . الآن أدت المحركات واجبتها الأخير وانطفأت .. ودخلت السفينة مدار القمر ..

لقد صارت (ديسكفرى) قمراً صناعياً لقمر حقيقى .

★ ★ ★

- « أنا الآن أرى تفاصيل (جابيتوس) .. لا أعرف حقيقة كنه هذه البقع السوداء .. تبدو لى كأنها شرائح من الخبز المقدد المحروق .. وبين الجزر السوداء يوجد هذا اللون الأبيض .. لا أعرف ما هو .. ولا أعرف ما فهمتموه من صور الفيديو ، لكننى أشعر كأنها مساحات من سائل تبدأ بحدة وتنتهى

بحدة .. لا أدرى إذا كان التشبيه دقيقًا لكننى أشعر
كأنه محيط من لبن .. »

- « هيه ! ثمة شىء غريب أراه بوضوح الآن ..
يبدو كأنه نوع من المباتى .. أسود تمامًا .. صعب أن
تتبينه .. لا نوافذ .. مجرد لوح رأسى ضخم .. لا بد أن
ارتفاعه ميل على الأقل حتى أراه من هذه المسافة ..
إنه يذكرنى .. بالطبع ! إنه كالشىء الذى كان على
القمر .. هذا هو الأخ الأكبر لـ TMA - 1 !! »

* * *

٢٤ - الحارس ..

يمكنك أن تطلق عليه حارس النجوم ..
كان ينتظر هناك منذ ملايين السنين على أمل
حدوث لقاء .. والآن انتهى الانتظار ..
وعلى عالم آخر ولد الذكاء وبدأ يغادر مهده ..
ثمة تجربة قديمة توشك على أن تبلغ أكثر لحظاتها
إثارة ..

لم يكن من بدعوا تلكم التجربة منذ زمن سحيق
بشرًا .. لكنهم كانوا من لحم ودم ، وكانوا كلما
نظروا إلى الفضاء شعروا بالرهبة والشفق والتطلع
إلى شىء جديد .. فلما امتلكوا القدرة انطلقوا إلى
النجوم ..

زاروا آلاف الكواكب وعرفوا كيف تشتعل شرارة
الذكاء لحظيًا ثم تنطفئ فى أرجاء الكون ..

ولما كانوا قد عرفوا أنه لا شيء يعدل العقل
فى الكون كله ، فباتهم تحولوا إلى فلاحين ..
يبدرون العقل فى كل مكان وينتظرون .. وربما
يحصدون ..

بعد رحلة دامت ألف سنة كانت الدينامصورات قد
اختفت فى مجموعتنا الشمسية .. توقف هؤلاء عند
الكواكب المتجمدة فى نهاية مجموعتنا الشمسية ..
مروا بالمريخ ثم توقفوا عند الأرض ..

هنا وجدوا عالماً يعج بالحياة .. وهناك توقفوا
يدرسون ويحللون ..

كانوا يتمتعون بالصبر لكن ليس الخلود .. وكانت
بلايين الكواكب حول بلايين الشمس تنتظر ، وهكذا
غادروا الأرض عالمين أنهم لن يعودوا ثانية من هذا
الطريق .. لكنهم تركوا آثارهم على القمر وعلى
أقمار (زحل) كى تراقب ما حدث ..

لكن هؤلاء الزوار الذين جاءوا منذ ملايين السنين
بدعوا يدخلون طوراً آخر من التطور .. لقد بلغ اللحم
والدم آخر مدى له ، وصارت آلات هؤلاء القوم
أكثر كفاءة من أجسادهم .. وبدعوا ينقلون
عقولهم وأفكارهم إلى بيوت جديدة من البلاستيك
والمعدن ..

وهكذا راحوا يسافرون بين النجوم .. لم يعودوا يبنون
سفن الفضاء .. لقد صاروا هم أنفسهم سفن الفضاء ..

ثم تعلم هؤلاء القوم كيف يتخلصون من المادة
نهائياً ويحولون ذواتهم إلى طاقة .. إلى أشعة تنتقل
عبر الكون لكنهم لم ينسوا كيف بدعوا ، وهم يراقبون
تجارب هؤلاء الذين بدعوا بعدهم بملايين السنين ..

★ ★ ★

« حتى هذه اللحظة أرى الشيء بصعوبة لأنه
يتوارى بسرعة خلف خط الأفق .. هذا محبط .. لن
ألحق به ثانية إلا بعد شهر ..

« الهواء يزداد سوءاً وقد أصابني الصداع لأن أجهزة تنقية الهواء لم تعد تعمل بكفاءة منذ فتح (هال) أقال الضغط .. لو استمر الحال هكذا سأنزل لأحرر بعض الأكسجين من كبسولات الملاحاة ..

« لهذا أطلب منكم الموافقة على هذه الخطة .. سأركب كبسولة فضاء وأتجه EVA إلى هذا الجسم .. سأخلق فوقه وربما أنزل عليه .. أرجو أن توافقوا .. لقد قطعت من أجل هذا الشيء بليوناً من الأميال ، ولن أفشل بسبب الأميال الستين الأخيرة .. »

راح حارس النجوم يراقب القادم .. كان صاعقه قد أعدوه لمواجهة أشياء عديدة ، وكان هذا الشيء من بينها .. الزائر القادم من الشمس الدافئة ..

لو كان يشعر فلا بد أنه أحس بالإثارة .. لكنه كان قد انتظر ثلاثة ملايين عام ، ولم يعد يهمه شيء ..

ولو مرت به (ديسكفري) ولم تتوقف لما شعر بإحباط .. لقد صنع كي ينتظر إلى الأبد .. لكنه الآن شعر بالجسم المتجه نحوه . وهناك في ضوء (زحل) بدأ حارس النجوم يستعيد قواه ..

* * *

٢٥ - داخل العين ..

كان من العسير الآن أن تعرف الشمس .. كانت مجرد نجم بعيد أكثر سطوعاً من النجوم الأخرى لا أكثر . ولم تكن تبعث أية حرارة .. لقد مد (باومان) يده ووضعها في طريق الأشعة ، ولدهشته وجد أنها خالية من الدفء .. كأنه يحاول أن يطلب الدفء من القمر ..

حتى لو لم يعد إلى (ديسكفري) فلسوف تظل تؤدي واجبها ، وتنقل للأرض معلومات عن كل شيء حتى تفسد دوائرها الكهربائية في النهاية .. أما لو عاد فلاجدوى من هذا .. لن يتمكن من السبات من دون كمبيوتر يشرف على العملية ، وإن تكفيه المؤن ولا الأكسجين طيلة أربع سنوات حتى تصل (ديسكفري - 2) لإلقائه من الأرض ..

ترى هل تسمعه الأرض ؟ لقد صارت كلماته تحتاج

إلى ساعة ونصف بسرعة الضوء كي تصل هناك وتحتاج إلى مثلها كي تعود له ..

بدأت النفاثات تنتزعه من المدار ، وبدأ يهبط فوق سطح (جابيتوس) ..

كان الجسم ضخماً بالفعل .. لم ير قط جسمًا على الأرض بهذا الحجم .. وأظهرت أجهزة القياس أن مقاييسه تتمشى - كما هو الحال مع شبيهه على القمر - مع النسبة الغريبة 1:4:9 .. وقد يعنى هذا شيئاً ، أو لا يعنى . لكن هذه المقاييس هي مربعات الأرقام الأولى 1 و2 و3 .. يالها من دقة !

- « أنا أقرب من الجسم .. من الواضح أن السطح أملس تماماً برغم أنه من الطبيعي بعد كل هذه الأعوام أن تكون هناك خدوش أو آثار للشهب والنيازك الساقطة ! لا توجد أبواب كذلك .. برغم أنى تمنيت أن أجد سبيلاً للدخول ..

« لحظة .. هذا غريب .. إننى أرى »

وتوقف عن الكلام .. لم يكن هذا رعباً ولكنه
ذهول .. لقد صار للحظة عاجزاً عن الوصف ..

كان يقترب من مساحة مستطيلة صخرية تمثل قمة
هذا الشيء ، لكن كأنما بخدعة بصرية ما راح هذا
الشيء يبتعد عنه .. ما كان يبدو لعينه كسطح ،
انفتح الآن كاشفاً عن أعماق لانهاية لها .. مجرى
مستطيل يتحدى قوانين المنظور .. لأن حجمه لم
يكن يضيق مع المسافة ..

ورمشت عين الجسم الغريب كأنما تضايقت من ذرة
غبار كونى دخلت فيها ..

ووجد (باومان) الوقت كى يقول للرجال المنتظرين
على الأرض ، عبارة لن ينسوها أبداً :

- « إن الشيء مجوف .. وآه ! ربااه ! إنه مليء
بالنجوم ! »

وانفتحت بوابة النجوم ..

وفى لحظة أقصر من أن تقاس التف الفضاء حول
نفسه ..

وعاد (جاينوس) وحيداً كما كان طيلة ثلاثة
ملايين من السنين .. وحيداً ما عدا السفينة التى
تدور فى مداره ، مرسلة لصانعها رسائل لن
يفهموها أو يصدقوها ..

★ ★ ★

VI - عبر بوابة النجوم ..

٢٦ - جراند سنترال ..

لم يكن هناك إحساس بالحركة ، لكنه كان يهبط نحو تلك النجوم التي لا تصق . لم تكن في قلب القمر بالتأكيد .. هذا مستحيل .. تمنى لو كان منح بعض الوقت لدراسة نظريات الفضاء الفائق Hyperspace والممرات بين الأبعاد المختلفة .. بالنسبة له لم تعد هذه نظريات .. لقد صارت حقائق ..

لربما كان ذلك الجسم أجوف .. لربما كان سقفه مجرد حاجز وهمي انفتح ليدخل فيه ، لكن إلى أين ؟ كان يهوى بسرعة في نفق لو استطاع الاحتكام إلى حواسه لكن النهاية البعيدة ظلت نائية ..

النجوم تندفع نحوه من المركز بلانهاية كأنما تأتي

من معين لا ينضب .. لكن نهاية النفق لا تقترب ، كأنما هو ثابت والفضاء ينطلق نحوه سريعاً .

لم يكن الفضاء فقط يتصرف بغرابة ، بل الساعة في تابلوه الكبسولة الفضائية .. إن الثواني تمضي ببطء مذهل كأن الزمن نفسه مقبل على التوقف .. في النهاية تجمدت الساعة فعلاً ..

لم يكن خائفاً .. كأنه يجري تلك التجارب في القاعدة ، حين جرب العلماء عليه عقار الهلوسة ليروا استجاباته ..

كأنما كبسولة الفضاء تغادر النفق إلى عالم من السحب المكونة من ملايين النجوم تنيرها الشمس .. فجأة أطاعت النهاية البعيدة للنفق قوانين المنظور ..

وخطر له أنه عبر من خلال (جاييتوس) وخرج من الناحية الأخرى ، لكنه كان مخطئاً .. هذا العالم لا علاقة له بـ (جاييتوس) ولا أي عالم آخر سمع عنه بشر ..

السماء كانت غريبة .. لم تكن هناك نجوم ولا حتى ظلام .. كان هناك بياض لبنى لامع يوحى باللانهاية .. وتذكر ما سمعته عن ظاهرة (الابيضاض) المفزعة في القطب الجنوبي ، حين تعجز عن رؤية أى شىء إلا اللون الأبيض (كأنك حبيس فى كرة بنج بونج) ، كان هذا هو الحال هنا ..

ولكن السماء لم تكن فارغة تمامًا .. كانت هناك أجسام سوداء متناثرة فيها .. وقد جعل هذا (باومان) يتذكر شيئاً مألوفاً .. شيئاً اعتبره سخيلاً فى البداية ، ثم فطن إلى أنه التفسير الوحيد ..

هذه البقع السوداء كانت نجومًا .. هذه السماء هى صورة سلبية (نيجاتيڤ) لسمائنا ..

أين هو ؟ هذا المكان لم يوجد كى يراه بشر .. أراد أن يغلّق عينيه .. كى ينهى كل هذا البياض والفراغ من حوله .. كانت الحرارة مريحة لكنه بدأ يرتجف ..

أما الأرض من تحته فكانت مجموعة من الأشكال

الهندسية الغريبة كأنها قطع من الغاز الأطفال التى تدعى Jigsaw كان عملاق يلهو بها ، ثم تركها .. فيما عدا هذا كان عالمًا مهجورًا .. لكن شيئًا ما كان قادمًا من الأفق ..

فى البداية حسبه مسطحًا ، لكن الشىء جاء ومر من تحته .. فأدرك أنه مغزلى الشكل طوله مئات الأقدام ، ربما كان الجسم يدور حول نفسه بسرعة لاتصدق ..

على الأقل كان له لون .. إن من صنعوه شاركوا الإنسان ببعض ميوله على الأقل ..

رآه يتجه إلى واحدة من تلك الفتحات - كالتى دخل منها (باومان) - فيغوص فيها ويختفى ..

وعاد إلى (باومان) شعور الوحشة .. لكنه بدأ يفهم حقيقة هذا المكان .. إنه المحطة التى تنظم انتقالات هذا العالم إلى الأبعاد والمجرات الأخرى .. إنه يلعب هنا دور محطة (جراند سنترال) على الأرض ..

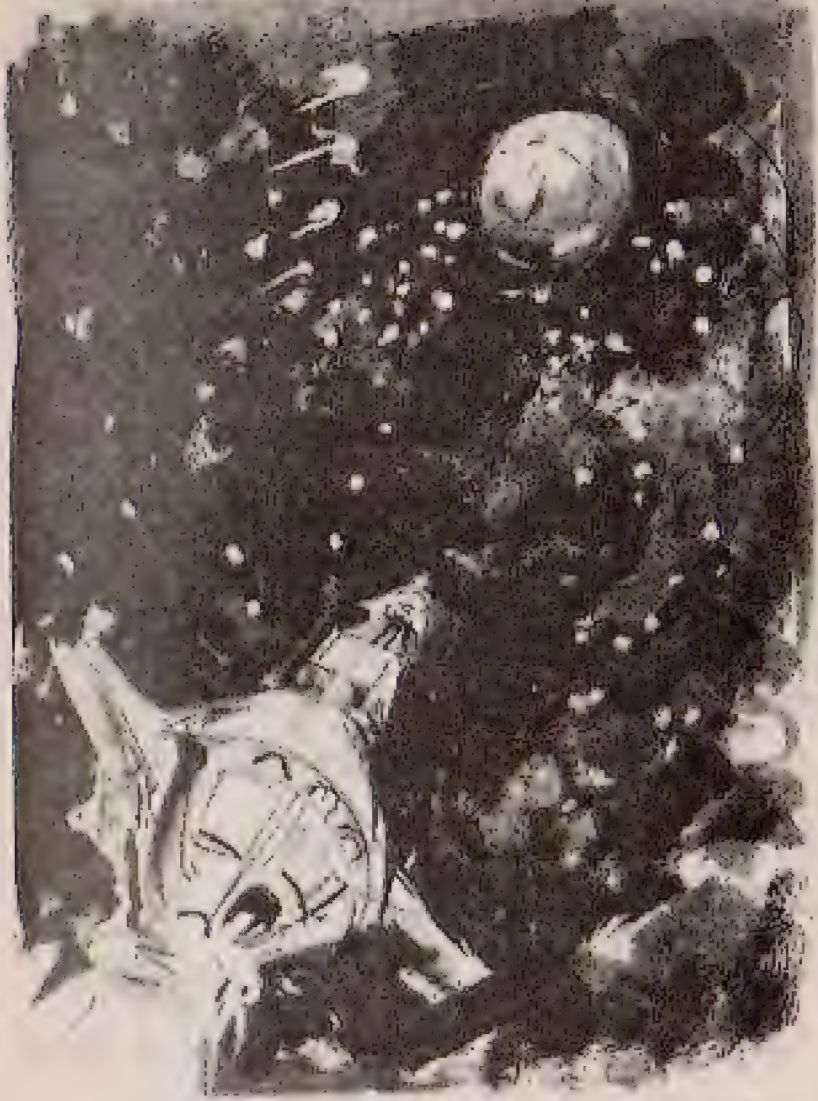
* * *

الآن ارتفع (باومان) ليخلق .. وجد نفسه من جديد وسط النجوم والفضاء الذى يعرفه .. لكن شيئاً ما قال له إنه على بعد قرون ضوئية من الأرض .. حتى النجوم التى تلتصق من حوله لم يرها بشرى من قبل بالتأكيد .

كل النجوم كانت تحتشد حول مركز براق ، تقطعه من حين لآخر خطوط من الغبار الكونى ، بدا له المركز كأنه طريق الليانة الذى نعيش نحن فيه ، وتمنى لو كن هذا صحيحاً .. هذا لن يكون بعيداً عن الوطن .. ثم أدرك أن هذا خاطر طفولى .. إنه بعيد جداً عن المجموعة الشمسية بحيث لا يوجد فارق كبير بين وجوده فى مجرتنا أو أية مجرة أخرى ..

كانت الكبسولة تدور لتريه مشهداً غريباً كانت شمساً حمراء أكبر بمراحل من القمر كما نراه على الأرض ، واستطاع النظر إليها على راحتته ، مدركاً أنها ليست أكثر سخونة من قطعة فحم .

إنها تموت ..



الآن ارتفع (باومان) ليخلق .. وجد نفسه من جديد وسط النجوم والفضاء الذى يعرفه ..

تموت ؟ لا .. هذه شمس تركت وراءها بهرجة
الشباب النارية ، وقضت بلايين السنين فى عوالم الأرق
والأخضر والقرمزي .. والآن استقرت فى مرحلة الهدوء
الناضج .. لكن ما مرت به لا يمثل واحداً على الألف
مما هو آت .. إن قصة هذه الشمس لم تبدأ بعد ..

كانت الكبسولة تتحرك بقوة لا يدري عنها متجهة
إلى هدف لا يعرف ما هو ..

ورأى ما يبدو كنجم يرتفع إلى السماء ، فلما دقق
النظر رأى أنه شبكة معدنية .. تسبح عكبوت معدنى
امتلاً بالأجهزة ، لقد رأى مثل هذه مراراً لكنه لم
يفهم إلا الآن أنه ليس نجماً بل سفينة فضاء .. معنى
هذا أن هذا المكان هو ساحة انتظار سفن فضاء ..

لكنه إذ دقق البصر أكثر فهم أن هذه السفن
لا تعمل .. إنها لا تتحرك ، ومعدنها ملئ بالثقوب التى
أحدثتها النيازك .. هذا يعنى أن هذا المكان هو
ساحة خردة فضائية .

وسقط قلبه فى قديمه .. واضح أن من بنوا هذه

الساحة قد ولوا منذ قرون .. لقد سقط فى مصيدة
فضائية قديمة ما زالت تعمل بكفاءة ، بينما اختفى
صانعوها من الوجود ، انزلقت قدمه لتسقط فى
الشرك ليعبر الكون ويجد نفسه هنا ، محكوماً عليه
بالهلاك حين ينتهى الأكسجين ، لكن لا مبرر لديه
للشكوى .. لقد رأى من الأعاجيب ما يضحى أناس
كثيرون بحياتهم كي يروه ..

كان متجهاً نحو الشمس الآن ..

وأدرك أن حياته لن تنتهى هنا ، ولكن فى تلك
الشمس الحمراء التى تتجه لها الكبسولة فى ثبات ..

★ ★ ★

الآن لم يعد أمامه إلا الشمس العملاقة .. ترسل
اللسنة من اللهب إلى السماء ببطء .. ليس ببطء ..
لا بد أن سرعة هذه اللسنة لا تقل عن ألف ميل في
الساعة ..

لم يحاول تصور مقياس هذه الشمس التي ستحرقه ..
لقد هزمتها ضخامة (المشتري) و (زحل) من قبل ..
لكن كل شيء هنا كان أضخم مائة مرة .. كان يتلقى
الصور التي يراها في عقله دون أن يحاول فهمها ..

كان يجب أن يشعر بالرعب الآن ، لكن شيئاً ما جطه
هادئاً .. كان يشعر بأن هناك ذكاء غير عادي وغير
مرئي يتكفل بحمايته .. إنه اقترب بما يكفي وكان
من المفترض الآن أن تحرقه أشعة هذه الشمس
المحتضرة ، لكن حاجزاً غير مرئي يحميه ..

ما زال هناك موضع للأمل ..

هكذا راح يشق طريقه وسط أسنة اللهب التي
تندفع لأعلى آلاف الأميال .. لكن شيئاً لم يحدث له ..

هنا يمكن أن توجد المواد الكيماوية .. هنا النار
الحقيقية .. يمكن لهذه الأشياء أن توجد لا كشمسنا التي
تعيش حالة متواصلة من الانفجارات الهيدروجينية ..

لكنه استطاع أن يرى بين النيران أجساماً مضيئة
تتحرك .. كأنها الخرز .. كانت تتحرك بثقة وكأن لها
هدفاً .. وتتقارب لكنها لا تصطدم أبداً .. هل هذا وهم ،
أم أن لهذه الأشياء وجوداً عاقلاً ؟ إنها تعرف أين
هي وإلى أين هي ذاهبة .. لكنه لن يعرف أبداً ..

★ ★ ★

داخل كبسولته كان شيء ما يحميه من ظواهر
كونية يمكن أن تزيله من الوجود في أقل من جزء
من ألف من الثانية ، وفي الألف رأى ضوءاً يرتفع ، ثم

ظهرت شمس قرمزية متوهجة .. راقبت له الفكرة
الساخرة أنه يرى شروق الشمس من على سطح
الشمس .. ثم أدرك أن هذا قزم أبيض .. شمس
لا تتجاوز أرضنا في الحجم لكنها تفوقها في الكتلة
آلاف المرات ..

فجأة بدأت الرؤية تهتز .. شعر بأن الظلام يخيم
حوله ، وأن طبقات من شيء كانه الزجاج المصنفر
تحيط به .. بالفعل بدأت الضوضاء في الخارج
تخفت .. ووجد أنه يطير ببطء في ظلام ..

في النهاية سمع صوت ارتطام ناعم كأنما
الكبسولة قد هبطت على سطح ما ..

ثم إن الظلام بدأ يزول .. ونظر حوله غير مصدق .
وأدرك أنه بالتأكيد قد جن ..

كان قد توقع أي شيء .. أية معجزة .. لكن السطح
الذي نزلت الكبسولة عليه كان لوضية غرفة فئق .. فئق
فاخر يمكن أن يوجد في أي مكان على كوكب الأرض !

كان يرى منضدة طعام حولها دسنة من المقاعد
ومصباحًا ومكتبة ملأى بالمجلات .. ومزهريّة بها
زهور .. وعلى الجدار كانت لوحة لـ (فان جوخ) ..

راقب له أن جنونه منظم برغم كل شيء .. كل شيء
في موضعه ولم يتغير شيء حين أدار ظهره .. الشيء
الوحيد المتناقض هنا كان كبسولة الفضاء ذاتها ..

كان يعرف أن هذا وهم .. لكنه كان حقيقياً كأي شيء
آخر عرفه على الأرض .. الأرض صلبة .. على الأقل
تتحمل ثقل كبسولة الفضاء عليها .. فلن يسقط من
خلالها ..

لم يكن واثقًا من طبيعة الهواء هنا .. سنوات
الخبرة علمته ألا يثق بأي بيئة لا يعرفها .. لهذا أغلق
الخوذة على رأسه وخرج من الكبسولة ..

على قدر ما يعرفه هذا مجال جاذبية عادي تمامًا ..
رفع ذراعه وتركها تسقط ..

كل شيء لا يصدق .. إنه هنا يلبس بزة فضاء .. يقف
خارج مركبة فضاء لا تعمل جيدًا إلا مع نقص الجاذبية ..

مشى كالفنم فلم يَخْتَفِ شَيْءٌ كَمَا تَوَقَّع .. كَانَ
هناك هاتف على المنضدة فدنا منه ليقرأ المكتوب
عليه (واشنجتون - دى سى) .. هنا تنبه إلى أنه
لا يمكن أن يكون على الأرض .. كلمة (واشنجتون)
مكتوبة بحروف زائفة كأنما هي منقولة من صحيفة .
ففتح كتابًا يتصفحه فوجد أن كل صفحاته خالية وأنه
مصنوع من مادة بيضاء ليست ورقًا بالتأكيد الأدرج
أيضًا في الكومود لم تكن قابلة للتفحج .. كانت
مزيفة .

إذن هذه خدعة برغم أنها متقنة جدًا .. ثم قدر
أنها ليست خدعة بل هي - كما تمنى - نوع من
تهديئة روعه .. إعادة الألفة إلى نفسه .. لكنه لن
ينزع ثيابه حتى يتأكد من أن البيئة غير معادية ..

كانت هناك خزانة بها ثياب .. وأدرك حين لمسها
أنها مصنوعة من خامة هي أقرب إلى الفراء منها
إلى الصوف .. وكان طرازها عتيقًا جدًا ..

أما الحمام فكان مجهزًا جيدًا ، وسره أنه لم يكن
مزيغًا .. والمطبخ كان به موقد كهربى وثلاجة ..
راح (باومان) يتفحص هذا ليس بالفضول وحده
ولكن من منطلق الجوع ..

كانت الثلاجة مليئة بالأطعمة .. لكنه لاحظ أنه لا يوجد
بيض ولا لبن ولا لبن .. فقط المعلبات التي كانت
البطاقات عليها مهزوزة تصعب قراءتها ..

قال لنفسه : من الواضح أن هذا اختبار .. هناك من
يراقب ردود فعلى .. فلأبد أننى فشلت بالفعل .. لا بد أن
منظرى سخيف وأنا بهذه البزة .. يجب أن أنزعها ..

بحذر فك الخوذة .. وتشمم الهواء من حوله ..
على قدر علمه هذا هواء طبيعى تمامًا ..

بدأ ينزع البزة فى سرور .. وعلقها على المشعب
فى خزانة الثياب .. بدت غريبة هناك ، لكن النظام
القهرى الذى يميز (باومان) ككل رواد الفضاء ،
جعل من المستحيل عليه أن يلقي بها فى أى مكان ..
أخرج من الثلاجة علبة من الحبوب .. من البداية أدرك

أنها أثقل من أن يكون محتواها حبوبًا .. بالفعل كانت
تحتوى مادة زرقاء أقرب إلى العجين .. وبرغم أنه أنك
لأنه لا أحد يريد تسميته فإنه قضم بحذر ، لأنه من الممكن
حدوث أخطاء فى شيء معقد مثل الكيمياء الحيوية ..

كان مذاقها طيبًا .. لكن الطعم كان مراوغًا لا يمكنك
فهمه بسهولة .. لو أغلقت عينك لتخيلت أنه لحم أو خبز
أو فاكهة جافة .. ليس له أن يخاف الموت جوعًا ..

مد يده ليفتح علبة من المياه الغازية ، ولدهشته
وجد أنها لا تحتوى إلا تلك المادة الزرقاء ..

بعد ثوان كان قد فتح نصف دسنة من العبوات ..
واضح أن وجباته هنا لن تكون متنوعة .. على الأقل
سيكون هناك ماء من الصنبور ..

كانت أول جرعة مريضة حتى إنه بصقها ، ثم فهم
الأمر .. ليس هذا لأن مذاق الماء كريه ولكن لأنه
بلا مذاق على الإطلاق .. ماء مقطر لا أكثر .. إن
هؤلاء القوم لا يريدون المجازفة بصحته ..

استحم وارتدى ثيابًا مريحة ثم تمدد فى الفراش

يفكر .. هنا رأى جهاز تلفزيون فى السقف مثل
الفنادق .. افترض أولاً أنه دمية مثله مثل الهاتف ..
ثم قرر أن يجرب .. ضغط زر التشغيل الموجود
على الكومود جواره ، فأضيئت الشاشة ..

نهض كالمحموم يصغى إلى المذيع الذى لم يبال
قط بما يقول .. كان صوتًا بشريًا وكفى ..

أدار مفتاح اختيار المحطات ، وفى الدقائق الخمس
القالية رأى لقطات من فيلم (ويسترن) ، ونشرة أخبار
بالروسية ، ونبة بالصينية وحديثًا عن الوضع السيلسى ..
لقد كان البرنامج مختارًا من عدة قنوات .. وقد أعطاه
شعورًا بالراحة والألفة لكنه أكد له ما توقعه ..

كل البرامج تعود إلى عامين .. هذا هو الوقت الذى
تم فيه اكتشاف TMA - 1 على سطح القمر .. لقد كان
الجسم الغامض يسجل كل الموجات التى تعبر للفضاء ..
لقد كان مشغولاً أكثر مما تصور العلماء ..

لكن ما أثار دهشته أنه على إحدى القنوات ، رأى
ممثلاً فى مسلسل تلفزيونى يتهم حبيبته بالخيانة ،

وكان الديكور الذى يتكلمان فيه هو بالضبط هذه
الغرفة التى ينام فيها ..

لقد استخلص الغرباء فكرتهم عن الحياة الأرضية
من مسلسلات التلفزيون ، وقد كان لدى (باومان)
مبرراته كى يشعر من البداية أن هذه الغرفة ديكور
تلفزيونى .

ماذا أفعل الآن ؟ كان من الصير أن ينام فى هذا
العالم الغريب ، لكن حكمة الجسد التى لاتخطئ غلبته
فى النهاية .. وأطفأ النور الكهربى ..
وللمرة الأخيرة نام (ديف باومان) ..

٢٨ - إعادة الصياغة ..

الآن لم تعد من حاجة إلى غرفة الفندق .. اختفت
من حول (باومان) .. إلا أن الفراش ظل هناك ..

كان (ديفيد) قلقاً فى نومه .. لم يصح ولم ينم ..
لكنه لم يكن غائبا عن الوعي .. لقد غزا شىء عقله
كأنه الضباب ..

بدا كأنه طاف فى الفضاء ، بينما امتدت من حوله
فى كل اتجاه شبكة من الخيوط أو الخطوط .. عليها
تتحرك بقع من الضوء .. بعضها ببطء وبعضها
بسرعة مذهلة .

ثم تلاشت هذه الخطوط إذ عبر (ديفيد) نطاقاً من
الوعي لم يدخله إنسان من قبل ..

بدا كأن الماضى كله يعود .. غرفة الفندق ..

الكبسولة .. الجسم الغامض .. ليست المشاهد فقط
بل ومذاق ورائحة كل شيء ..

كان يتكلم مع (هال) ويمزح مع (بول) .. كان
يعود إلى طفولته .. خبراته وما تعلمه تنتزع منه ،
لكن لا شيء يضيع كل شيء يوضع في مكان أمين ..
هناك (ديفيد باومان) قد كف عن الوجود ، بينما
(ديفيد) آخر يحفظ للأبد ..

وجوه نسيها أو حسب ذلك عادت تضحك له ..
الآن بدأت معدلات التراجع تبطئ ، وجفت منابع
ذاكرته ، وبدأ بندول الزمن يبطئ بالتدريج .. حتى
جاءته لحظات توقف ..

وعلى بعد آلاف السنين الضوئية ، بين نيران نجم
مزدوج ، فتح طفل رضيع عينيه .. وبكى ..

ثم كف عن البكاء حين أدرك أنه ليس وحيداً ..

كان هناك جسم بلورى شفاف مستطيل ينتصب
وسط المكان ، وظلال غريبة منومة تتحرك داخله ..
ثم راحت الأضواء ترقص داخله في صخب بصرى ..
حديق الطفل في أعماق الجسم البلورى بعينين
تحويان أكثر من القصد البشرى .. يرى لكنه لا يفهم
الألغاز الكامنة بالداخل ، كان الميلاد أغرب من كل
شيء حدث في الماضي ..

ثم ذابت الجدران إلى العدم الذي جاءت منه ، ومن
جديد ظهرت الشمس الحمراء .

احتترقت كبسولة الفضاء وثيراب رجل كان
يدعو نفسه باسم (ديفيد باومان) على الفور ،
وتلاشت آخر روابط بالأرض عائدة إلى ذراتها
الأصلية .

لكن الطفل لم يلحظ هذا وهو يسبح وسط بيئته
الجديدة ..

كان مازال بحاجة إلى هذا الغلاف المادى .. إن هذا
الجسد غير القابل للتدمير هو فكرته عن شكله .. يعرف
أنه مازال طفلاً ، لذا سيتنظر حتى يتخذ شكلاً آخر من
المادة ..

كان يسبح وسط النيران وقربه ذلك الجسم
الحجرى .. الجسم الذى علمه الكثير من الأسرار ..

إنه يرى أمامه الآن المجرة .. ويعرف أن هناك
طرقاً عديدة للانتقال خلالها تعلمها من خبرات ثلاثة
ملايين عام .. ينظر للفضاء ويفكر فى معنى الأبدية
التي تقبع أمامه .. ويرتجف ..

ثم تذكر أنه لن يكون وحيداً أبداً ..

استعاد ثقته بنفسه واندفع عبر المجرة .. أشباح
شموس انفجرت إذ انزلق عبرها .. الغبار الكونى
الذى كان يخشاه صار يضرب وجهه كأنة صفعات
جناح غراب على وجه الشمس ..

بدأ له درب اللبنة باهتاً بالنسبة للمجد الذى عرفه
وسوف يعرفه ثانية ..

لقد عاد إلى حيث أراد .. فى الفضاء الذى يعتبره
البشر حقيقياً ..

★ ★ ★

٢٩ - طفل النجوم ..

وأمامه كانت تلك اللعبة اللمعة التي لا يستطيع
طفل نجوم مقاومتها .. الأرض بما عليها من
بشر ..

لقد عاد في الوقت المناسب إلى ذلك الكوكب
المزدحم .. لسوف تدق أجراس الإنذار وتمسح
أجهزة التلسكوب السماوات ، وسوف ينتهي التاريخ
كما عرفه البشر .

من تحته رأى حمولة من الموت تتجه نحوه ..
ما كانت طاقتها الواهية لتخيفه لكنه كان يريد
السماء صافية .. ركز إرادته فانفجرت الحمولة
في صمت ، جاعلة نصف الكوكب النائم يرى ضوء
الفجر .

ثم توقف .. إنه الآن سيد الأرض لكنه لا يعرف
ماذا يفعل بعد هذا ..

لكنه سوف يفكر في شيء ما ..

* * *

ارثر كلارك

يوليو 1968